بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

«فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»[(١)].

قَبْلَ الشُّروعِ في بَيَانِ تأوِيلاتِ أبي زَكَرِيَّا النَّوويِّ رَحِمَهُ اللهُ لِلصِّفَاتِ أُحِبُّ أنْ أُبَيِّنَ أمْراً مُهِمَّـاً، وَهُوَ أنَّ المَذْكُورَ هُنَا مِنْ تَتَبُّعِ كَلَامِ النَّوويِّ رَحِمَهُ اللهُ لَيْسَ انْتِقَاصَـاً مِنْ

---

(١) أخرجه مسلم (بَاب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ) (رقم: ٨٦٧)، والنسائي في «سننه» (باب كَيْفَ الْخُطْبَةُ) (٣/ ١٨٨)، وأحمد (رقم: ١٤٣٧٣). وقد تفرَّد النسائي بلفظة (وكل ضلالة في النار) وهي صحيحة. راجع «صحيح الجامع» (رقم:(١٣٥٣).

مَكَانَتِهِ، ولاَ تقْليلاً مِنْ شَأْنِهِ، ولَكِنْ صِيَانَةً لِجَنَابِ التَّوحِيدِ؛ حَيْثُ أنَّ هَذِهِ الأخْطَاءَ مُتَعَلِّقَةٌ بِتَوْحِيدِ الأسْمَاءِ والصِّفَاتِ، وليْسَتْ مَسْألَةً اجْتِهاديةً حَمَّالةً لوجوهٍ.

*****

مَوْقِفُنَا مِنْ أبي زَكَرِيَّا النَّوويِّ مَعَ وجُودِ هَذِهِ الأخْطَاءِ

مَوْقِفُنَا هُوَ مَوْقِفُ عُلمَائِنا ومَشَايِخِنَا.

قَالَ فَضِيلةُ الشَّيْخِ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالحٍ العُثَيمينُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(... وَهُو رَحِمَهُ اللَّهُ - يَعْنِي النَّوَوِيَ - مُجْتَهدٌ، والمُجْتَهِدُ يُخْطِيءُ وَيُصِيبُ، وَقَدْ أخْطَأ رَحِمَهُ اللَّهُ في مَسَائِلِ الأسْمَاءِ والصِّفاتِ، فَكانَ يُؤَوِّلُ فِيهَا لَكِنَّهُ لا يُنْكِرُهَا، فَمَثَلاً: «اسْتَوى عَلى العَرْشِ». يَقُولُ أهْلُ التَّأويلِ مَعْنَاهَا: اسْتَولى عَلىَ العَرْشِ، لَكِنْ لا يُنْكِرُونَ: «اسْتَوى» لأنَّهُمْ لو أنْكَرُوا الاسْتِواءَ تَكْذِيبًا لكَفَرُوا، فَهُمْ يُصِدِّقُونَ بِهِ، ولَكِنْ يُحَرِّفُونَه. وَمِثْلُ هَذِهِ المَسَائِلِ التي وَقَعَتْ مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ خَطأ في تَأْوِيلِ بَعْضِ الصِّفَاتِ إنَّهُ لَمَغْمُورٌ بِمَا لَهُ مِنْ فَضَائِلَ وَمَنَافِعَ جَمَّةٍ، ولا أظُنُّ أنَّ مَا وَقَعَ مِنْهُ إلَّا صَادِرٌ عَنْ اجْتِهادٍ وتَأويلٍ سَائِغٍ - وَلو في رَأيِهِ - وأرْجُو أنْ يَكُونَ مِنْ الخَطأِ المَغْفُورِ، وأنْ يَكُونَ ما قدَّمَه مِنْ الخَيْرِ والنَّفْعِ مِنْ السَّعْيِ المَشْكُورِ، وأنْ يَصْدُقَ عَلَيْهِ قَولُ اللهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤].

وَلَقَدْ ضَلَّ قَومٌ مِنْ خَلْفِ الخَالِفِينَ الَّذِينَ أَخَذُوا يَسبُّونَهُ سَبًّا عَظِيمًا حتَّى بَلَغَنِي أنَّ أحَدَهُم قَالَ: يَجِبُ أنْ يُحْرَقَ شَرْحُ النَّوويِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ، نَسْألُ اللهَ العَافِيَةَ، فَالنَّوويُّ نَشْهَدُ لَه فِيمَا نَعْلَمُ بِالصَّلاحِ و أنَّه مُجْتَهِدٌ)[1].

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا قَوْلُكُمْ فِيمَا يَحْصُلُ مِنْ البَعضِ مِنْ قَدْحٍ في الحَافِظَيْنِ النَّوويِّ

(١) «شرح الأربعين النووية» (ص: ٣). دار الثريا للنشر.

وابنِ حَجَرٍ وأَنَّهُمَا مِنْ أَهْلِ البِدَعِ؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ:(إنَّ الشَّيخَيْنِ الحَافِظَيْنِ النَّوويَّ وابْنَ حَجَرٍ لَهُمَا قَدَمُ صِدْقٍ ونَفْعٌ كَبيرٌ في الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ، ولَئِنْ وَقَعَ مِنْهُمَا خَطأٌ في تَأْوِيلِ بَعْضِ نُصوصِ الصِّفاتِ إنَّه لَمَغْمُورٌ بمَا لَهُمَا مِنْ الفَضَائِلِ والمَنَافِعِ الجَمَّةِ، ولا نَظُنُّ أنَّ مَا وَقَعَ مِنْهُمَا إلا صَادِرٌ عَنْ اجْتِهَادٍ وتَأويلٍ سَائِغٍ - وَلَو في رَأيهما - وأرْجُو اللهَ تَعَالَى أنْ يَكُونَ مِنْ الخَطأِ المَغْفورِ وأنْ يَكُونَ مَا قدَّمَاهُ مِنَ الخَيْرِ والنَّفْعِ مِنَ السَّعيِ المَشْكُورِ، وأنْ يَصدُقَ عَلَيْهِمَا قُولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]. والَّذي نَرَى أنَّهُمَا مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، ويَشْهَدُ لِذَلِكَ خِدْمَتُهُمَا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وحِرْصُهُمَا عَلَى تَنْقِيَتِهَا مِمَّا يُنسَبُ إليْهَا مِنْ الشَّوائِبِ، وَعَلَى تَحْقِيقِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ أحْكَامٍ، ولَكِنَّهُمَا خَالَفَا في آياتِ الصِّفَاتِ وأحَادِيثِهَا أو بَعْضِ ذَلِكَ عَنْ جَادَّةِ أهْلِ السُّنَّةِ عَنْ اجْتِهَادٍ أخطئا فيه، فَنَرْجُو اللهَ تَعَالَى أنْ يُعَامِلَهُمَا بِعَفْوِهِ)اهـ[1].

وسُئِلَ فَضِيلةُ شَيْخِنَا العَلَّامَةُ صَالِحُ بنُ فَوْزَان الفَوْزَانُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَعْضُ النَّاسِ يُبَدِّعُ بَعْضَ الأئِمَّةِ كابْنِ حَجَرٍ، والنَّوويِّ، وابْنِ حَزْمٍ، والشَّوْكَانِيِّ، والبَيْهَقِيِّ فَهَلْ قَولُهُمْ هَذَا صَحِيحٌ؟

فأجَابَ حَفِظَهُ اللهُ: (لِهَؤلاءِ الأئِمَّةِ مِنَ الفَضَائِلِ والعِلْمِ الغَزِيرِ والإفَادَةِ للنَّاسِ والاجْتِهَادِ في حِفْظِ السُّنَّةِ ونَشْرِهَا والمُؤلَّفَاتِ العَظِيمَةِ مَا يُغَطِّي مَا عِنْدَهُمْ مِنْ أخْطَاءٍ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

وَهَذِهِ الأمُورُ نَنْصَحُ طَالبَ العِلْمِ أنْ لَا يَشْتَغِلَ بِها لأنَّه يُحْرَمُ العِلْمَ والَّذي يَتَتَبَّعُ هَذِهِ الأمُورَ عَلى الأئِمَةِ سيُحرَمُ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ فَيَصيرَ مَشْغولًا بالفِتنَةِ

(١) كتاب «طالب العلم» (السؤال: ٩٨) - مكتبة نور الهدى.

ومَحَبَّةِ النِّزاعِ بَيْنَ النَّاسِ... نُوصِي الجَمِيعَ بِطَلَبِ العِلْمِ والحِرْصِ عِلى ذَلِكَ والاشْتِغَالِ بِه عَنِ الأمُورِ الَّتي لا فَائِدَةَ مِنْهَا.

والنَّوويُّ وابنُ حَزْمٍ وابن حَجَرٍ والشَّوكَانيُّ والبَيْهَقِيُّ هَؤلاءِ أئِمَّةٌ كِبَارٌ مَحَلُ ثِقَةٍ عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ وَلَهُمْ مِنْ المُؤلَّفَاتِ العَظِيمَةِ والمَرَاجِعِ الإِسْلامِيَّةِ الَّتي يَرْجِعُ إليْهَا المُسْلِمُونَ ما يُغَطِّي أخْطَاءَهُم وزلَّاتِهِم رَحِمَهُمُ اللهُ.

ولَكِنْ أنْتَ يَا مِسْكِينُ ماذا عِنْدَكَ؟ يا مَنْ تَتَلَمَّسُ وتَتَجَسَّسُ عَلى ابنِ حَجَرٍ وابنِ حَزْمٍ، ومَنْ ذُكِرَ مَعَهُمَا، ماذا نَفَعْتَ المُسْلِمينَ بِهِ؟!

ماذا جَمَعْتَ مِنْ العِلَمِ؟! هَلْ تَعْرِفُ ما يَعْرِفُه ابنُ حَجَرٍ والنَّوويُّ؟!

هل قَدَّمْتَ للمُسْلِمينَ مَا قَدَّمَ ابنُ حَزْمٍ والبَيهقيُ؟!.سُبْحَانَ اللهِ!!! رَحِمَ اللهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِه، قلَّ عِلْمُكَ فَتَجَرَّأْتَ، وقلَّ وَرَعُكَ فَتَكَلَّمْتَ.)[1].

وسُئِلَ فَضِيلةُ شَيْخِنَا عَبدُ العَزيزِ بنُ عَبْدِ اللهِ الرَّاجِحيُّ سَلَّمَهُ اللهُ:

ما رَأْيُكُم حَفِظَكُمُ اللهُ فِيمَنْ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ كُتُبِ ابنِ حَجَرٍ والنَّوويِّ؛ لأنَّ فِيهَا شَيْئًا مِنَ التَّعْطيلِ، بَلْ رُبَّمَا أمَرَ بإحْرَاقِهَا، وَوَصَفَهُمْ بأنَّهُمْ مِنْ أهْلِ البِدَعِ؟

فأجَابَ حَفِظهُ اللهُ (هَؤلاءِ والعياذُ باللهِ عِنْدَهُمْ غُلوٌّ، وهَؤلاءِ مُخْطِئونَ خَطأً عَظِيمًا كَبيرًا، فَكِتابُ فَتْحِ البَاري لابنِ حَجَرٍ كِتَابٌ عَظِيمٌ، ما زَالَ العُلمَاءُ في كُلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ بَعْدَه يَنْهلونَ مِنْ مَعِينِهِ، ويَسْتَفيدُونَ مِنْهُ، فَهُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أعْظِمِ الكُتُبِ، أمَّا الأخْطَاءُ في مَسْألةِ العَقِيدَة فمُمْكِنٌ تَلافِيهَا، مَا زَالَ العُلمَاءُ يُنَبِّهونَ عَلَيْها، وهؤلاء الأئِمَّةُ لمْ يَتَعمَّدُوا هَذا الخَطأَ وهُمْ عُلمَاءٌ كِبارٌ أجِلَّاءٌ، نَرْجُو اللهَ أنْ يَغفِرَ لَهُمْ، فَهُمْ نَشَأوا عَلى هَذا وصَارُوا يُؤَوِّلُونَ في بعضِ الصِّفَاتِ، لكِنْ ليسَ مَعْنى هَذا أنْ يُهْجَرَ الكِتابُ، هذا كِتَابٌ عَظِيمٌ.

---

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص: ١٩٥ – ١٩٧).

وكَذَلكَ النَّوويُّ في شَرْحِ مُسْلِمٍ سَلَكَ هَذَا المَسْلَكَ في الصِّفَاتِ، لكِنَّه كِتَابٌ عَظِيمٌ في مَعَانِي الحَدِيثِ والاسْتِنبَاطَاتِ وفي الأحْكَامِ الفقْهَّية، فَهيَ كُتُبٌ عَظِيمَةٌ، كَيفَ يُهْدَرُ مَا فِيهَا مِنَ العِلْمِ مِنْ أجْلِ أشْياءَ يَسِيرَةٍ مُمْكِنٌ تَلافِيها، ومُمْكِنٌ التَّنْبيهُ عَلَيْهَا، هَذَا غَلَطٌ كَبيرٌ، وهَؤلاءِ الَّذينَ يَفْعَلونَ ذَلِكَ جَهَلةٌ سُفَهَاءٌ، والَّذينَ يَحْرِقُونَها، ويُحَذِّرونَ مِنْها كَذَلِكَ، أمَّا الأغْلاطُ فلَيْسَ هُنَاكَ أحَدٌ يَسْلَمُ مِنَ الغَلَطِ، ليسْ هُنَاكَ كِتَابٌ مَعْصُومٌ إلا كِتَابَ اللهِ.

أمَّا لو كِتَابٌ أكْثَرُهُ فيهِ أخْطَاءٌ وأغْلاطٌ عَظِيمَةٌ مثْلَ كِتَابِ الزَّمَخْشَريِّ «الكَشَّافُ»، أو كِتَابِ «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ» للرَّازيِّ هَذَا خَطِيرٌ يؤثِّرُ على طَالبِ العِلْمِ المُبْتَدِئِ، فلاَ ينْبَغِي لِطَالبِ العِلْمِ المُبْتَدِئِ أنْ يَقْرَأَ فِيهِمَا؛ لأَنَّهُ يَدْعوكَ إلى مَذْهَبِهِ، يَدْعُوكَ للقَولِ بالحُلولِ، وإنْكَارِ وجُودِ اللهِ، يَدْعُوكَ إلى تَعَلُّمِ السِّحْرِ، فلا يَصْلُحُ أنْ يَقْرأَ ذَلِكَ إلا طَالِبُ العِلْمِ الَّذي عِنْدَهُ بَصِيرَةٌ.

أمَّا كِتَابُ فَتْحِ البَارِي لابْنِ حَجَرٍ كِتَابٌ عَظِيمٌ، نَفَعَ الأمَّةَ، جَلَسَ في شَرْحِهِ سَبْعَةَ عَشَرَ عَامًا رَحِمَهُ اللهُ، مِنْ أنْفَعِ وأحْسَنِ الكُتُبِ، ولا يَسْتَغْنِي عَنْه طَالبُ العِلمِ، كَذَلِكَ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ للنَّوويِّ.

والَّذي يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ هَذَيْنِ الكِتَابَيْنِ أو يَحْرِقُهُمْ، هَذَا سَفِيهٌ جَاهِلٌ، يَجِبُ أنْ يُؤَخَذَ عَلَيْهِ، ويُؤدَّبَ ويُعَزَّرَ حَتَّى يَرْتَدِعَ عَنْ هَذَا العَمَلِ المَشِينِ، ويُرْفَعَ بِه إلى ولاةِ الأمُورِ، إلى المَحْكَمَةِ حَتَّى يُحْكَمَ عَلَيْه بالتَّعْزيرِ والتَّأدِيبِ، حَتَّى يَتوبَ مِنْ هَذَا العَمَلِ المَشِينِ)[1].

*****

(١) موقع شيخنا عبد العزيز الراجحي حفظه الله – تحت عنوان: (القول فيمن يحذر الناس من كتب ابن حجر والنووي).

الأخْطاءُ المَقْصودُ بَيَانُها مَعَ التَّعْليقِ عَلَيْهَا

الخَطَأُ الأوَّلُ:

تَأويلُهُ عَفَا اللهُ عَنْهُ صِفَةَ اليَدَيْنِ بِالنِّعمَةِ والقُدْرَةِ:

قَالَ النَّوويُ عَفَا اللهُ عَنْه عَلى قَولِهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[1].

(وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى فَمُتَأَوَّلٌ عَلَى الْقُدْرَةِ وَكَنَّى عَنْ ذَلِكَ بِالْيَدَيْنِ لِأَنَّ أَفْعَالَنَا تَقَعُ بِالْيَدَيْنِ فَخُوطِبْنَا بِمَا نَفْهَمُهُ لِيَكُونَ أَوْضَحَ وَأَوْكَدَ فِي النُّفُوسِ وَذَكَرَ الْيَمِينَ وَالشِّمَالَ حَتَّى يَتِمَّ الْمِثَالُ لِأَنَّا نَتَنَاوَلُ بِالْيَمِينِ مَا نُكْرِمُهُ وَبِالشِّمَالِ مَا دُونَهُ وَلِأَنَّ الْيَمِينَ فِي حَقِّنَا يَقْوَى لِمَا لَا يَقْوَى لَهُ الشِّمَالُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنَ الْأَرْضِ فَأَضَافَهَا إِلَى الْيَمِينِ وَالْأَرَضِينَ إِلَى الشِّمَالِ لِيُظْهِرَ التَّقْرِيبَ فِي الِاسْتِعَارَةِ وَإِنْ كَانَ اللهُ ﷻ لَا يُوصَفُ بِأَنَّ شَيْئًا أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا أَثْقَلَ مِنْ شَيْءٍ هَذَا مُخْتَصَرُ كَلَامِ الْمَازِرِيِّ.) اهـ[2].

وقال على قَوْله ﷺ: «اِصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ» (فِي الْيَدِ هُنَا الْمَذْهَبَانِ السَّابِقَانِ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَمَوَاضِعَ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ.

أَحَدُهُمَا: الْإِيمَانُ بِهَا وَلَا يُتَعَرَّضُ لِتَأْوِيلِهَا مَعَ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ.

---

(١) «كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّار» (٢٧٨٨).

(٢) «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» (١٧/ ١٣٢). دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ. وعليها أُحيل في سائر الكتاب.

وَالثَّانِي: تَأْوِيلُهَا عَلَى الْقُدْرَةِ.)اهـ [1].

التَّعْلِيقُ:

تَأْوِيلُ اليَدَيْنِ بالقُدْرَةِ خَطَأٌ، فاللهُ تَعَالَى يُوصَفُ بأنَّ لَهُ يدَيْنِ، وتُوصَفُ يَدُ اللهِ ﷻ بأنَّها يَمِينٌ، وهَذَا ثَابِتٌ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ والإجْمَاعِ، وهَذَا بَيَانُه.

• الأدِلَّةُ مِنْ الكِتَابِ العَزِيزِ:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

٣- قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ - أَوِ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ» [2].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» [3].

---

(١) «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» (١٦/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري بَاب (﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾) (رقم: ٧٤١٩) - الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ - دار طوق النجاة، وأحمد (رقم: ٨١٤٠) - مؤسسة الرسالة: الطبعة: الأولىٰ ١٤٢١ هـ.

(٣) أخرجه البخاري بَاب (يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (رقم: ٦٥١٩)، ومسلم باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلىٰ صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته واستحباب التسمية بعبد الله =

٣- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»(١).

٤- عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢).

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ...»(٣).

٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا

=

وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام (رقم: ٢١٤٨) - ترقيم عبد الباقي.

(١) أخرجه البخاري بَابٌ (لَا يَقْبَلُ اللهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) (رقم: ١٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم باب (قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة) (رقم: ٢٧٥٩).

(٣) أخرجه البخاري بَابُ (قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾) (رقم: ٣٣٤٠)، ومسلم باب (أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها) (رقم: ١٩٤).

مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً»[(١)].

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»[(٢)].

٨- عَنْ طَاوُوسٍ رَحِمَهُ اللهُ قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ثَلَاثًا»[(٣)].

٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ؛ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَأَتَى رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري بَاب(كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) (رقم: ٧٥١٨)، ومسلم باب(إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً)(رقم: ٢٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري بَاب (قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾) (رقم: ٧٤١١).

(٣) أخرجه البخاري (بَاب تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ عِنْدَ اللهِ) (رقم: ٦٦١٤)، ومسلم (باب حجاج آدم وموسىٰ عليهما السلام) (رقم: ٢٦٥٢)، وأبو داود (باب فِيْ الْقَدَرِ) (رقم: ٤٧٠٣)، والترمذي (باب ما جاء في حجاج آدم وموسىٰ عليهما السلام) (رقم: ٢١٣٤)، وابن ماجه (باب في القدر) (رقم: ٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (بَاب يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رقم: ٦٥٢٠)، ومسلم (باب نُزُلِ أهل الجنة) (رقم: ٢٧٩٢).

١٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[(١)].

١١ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَسْطَعَ الْفَجْرُ»[(٢)].

١٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِ اللهِ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ رَحِمَكَ رَبُّكَ يَا آدَمَ فَقَالَ لَهُ يَا آدَمُ اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلَإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَذَهَبَ قَالُوا وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ وَبَنِيهِمْ وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ فَقَالَ اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ فَقَالَ أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ أَوْ قَالَ مِنْ أَضْوَئِهِمْ لَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا أَرْبَعُونَ سَنَةً فَقَالَ أَيْ رَبِّ زِدْ فِي عُمْرِهِ قَالَ ذَاكَ الَّذِي كُتِبَ لَهُ قَالَ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً قَالَ أَنْتَ وَذَاكَ قَالَ ثُمَّ اسْكُنِ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ اهْبِطْ مِنْهَا وَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ قَدْ عَجِلْتَ قَدْ كُتِبَتْ لِي أَلْفُ سَنَةٍ قَالَ بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ مِنْهَا سِتِّينَ سَنَةً فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ فَيَوْمَئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (باب خلق الله مائة رحمة) (رقم: ٣٥٤٣)، وابن ماجه (باب ما يرجىٰ من رحمة الله يوم القيامة) (رقم: ٤٢٩٥). والحديث صححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم: ١٦٢٩) - مكتبة المعارف - الرياض.

(٢) أخرجه أحمد (رقم: ٣٨٢١). والحديث صححه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» (٢/ ١٩٩) الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - المكتب الإسلامي - بيروت.

(٣) أخرجه الترمذي (باب رقم: ٩٤) (رقم:٣) والحديث صححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (رقم: ٣٣٦٨).

أَقْوَالُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ:

١ - قَالَ الإِمَامُ أبو عُثْمَانَ الصَّابُونيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إنَّه خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ كَمَا نَصَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْه في قَولِهِ ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ ولا يُحَرِّفُونَ الكَلَامَ عَنْ مَواضِعِهِ بِحَمْل اليَدَيْنِ عَلى النِّعمَتَيْنِ أو القُوتَيْنِ تَحْريفَ المُعْتَزِلَةِ والجَهْميَّةِ أَهْلَكَهُمُ اللهُ، ولا يُكَيِّفُونَهُمَا بِكَيْفَ أو يُشَبِّهونَهُمَا بأيْدِي المَخْلوقِينَ تَشْبِيهَ المُشَبِّهةِ خَذَلَهُمُ اللهُ.)اهـ[1].

٢ - وقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ الدَّينَوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أنْ فَنَّدَ أقْوالَهُمْ في تَأْويلِ اليَدَيْنَ، ورَدِّهَا بالأدِلَّةِ الجَازِمَةِ:

(فإنْ قَالَ لَنَا: مَا اليَدَانِ هَا هُنَا؟ قُلْنَا: هُمَا اليَدَانِ اللَّتَانِ تَعرِفُ النَّاسُ كَذَلِكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ في هَذِه الآيَةِ: «**اليَدَانِ: اليَدَانِ**»، وقَالَ النَّبيُ ﷺ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»، فَهَلْ يَجُوزُ لأحَدٍ أنْ يَجْعَلَ اليَدَيْنِ هَا هُنَا نِعْمَةً، أو نِعْمَتَيْنِ، وقَالَ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَكَمَا قَالَ رَسُولُهُ، ولا نَتَجَاهَلُ، ولا يَحْمِلنَا ما نَحْنُ فيهِ مِنْ نَفْي عَلى أنْ نُنْكَرَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، ولِكنَّا لا نَقُولُ: كَيفَ اليَدانِ؟، وإنْ سُئِلْنَا نَقْتَصِرُ عَلى جُمْلَةِ مَا قَالَ ونُمسِكُ عَمَّا لمْ يَقُلْ.)اهـ[2].

٣- وقَالَ إمَامُ الأئِمَّةِ مُحَمَّدُ بنُ إسْحَاقَ بنِ خُزَيمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(بَابُ ذِكرِ إثْبَاتِ اليَدِ للخَالِقِ البَارِئِ جَلَّ وَعَلَا، والبَيانُ أنَّ اللهَ تَعَالى لَهُ يَدَانِ كَمَا أعْلَمَنَا في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ)... وسَرَدَ جُمْلَةً مِنْ الآياتِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ:(بَابُ ذِكْرِ البَيَانِ مِنْ سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ عَلى إثْبَاتِ يَدِ اللهِ جَلَّ وعَلَا، مُوافِقًا لِمَا تَلَوْنَا مِن تَنْزِيلِ رَبِّنا لا مُخَالِفًا، قد نَزَّه الله نَبيَّه وأعْلَى دَرَجَتَهُ ورَفَعَ قَدْرَه عَنْ أنْ

---

(١) «اعتقاد السلف أصحاب الحديث» (ص: ٢٦).

(٢) «الردُّ علىٰ الجهمية والمشبِّهة» (ص: ٤٠).

يَقُولَ إلا مَا هُو مُوافِقٌ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْه مِنْ وَحْيِهِ.)اهـ[1].

٤- وَقَالَ أبو بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(وخَلَقَ آدَمَ عليه السلام بِيَدِهِ، ويَدَاهُ مَبْسوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ، بِلا اعْتِقَادِ كَيْفَ يَدَاهُ، إِذْ لَمْ يَنْطِقْ كِتَابُ اللهِ تَعَالَى فيه بِكَيْفَ.)اهـ[2].

رَدُّ الشُّبهاتِ:

قَالَتِ الأَشَاعِرَةُ: إِنَّ اليَدَّ للهِ تَعَالى بِمَعْنَى القُدْرَةِ.

وهَذَا خَطَأٌ بيِّنٌ مِنْ عِدَّةِ أوجُهٍ:

الوَجْهُ الأولُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]: لا يَصِحُّ تَأويلُ اليَدَيْنِ بِمَعْنَى القُدْرَتَيْنِ؛ لأَنَّ نِعَمَ اللهِ مُتَعَدِّدَةٌ، ولَيْسَتْ مَحْصُورَةٌ في نِعْمَتَيْنِ، وهَذَا مَعْلُوْم لَدَى جَمِيعَ العُقَلاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]، وَقَالَ عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّ القُوةَ والنِّعْمَةَ لَمْ تَرِدَا بِلَفْظِ التَّثْنيةِ، ونِعَمُ اللهِ تَعَالى غَيْرُ مَحْصُورةٍ في نِعْمَتَينِ.

الوجْهُ الثَّالثُ: أَنَّ تَأويلَ اليَدِ بالقُدْرَةِ أو النِّعمَةِ بَاطِلٌ؛ لأَنَّهُ لا يَكُونُ لآدَمَ خَصِيصَةٌ عَلى غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ المَخْلوقَاتِ، فالكُلُّ مَخْلوقُونَ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالى.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمية رَحِمَهُ اللهُ:

(فَقَولُهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لا يَجُوزُ أَنْ يُرادَ بِهِ القُدرَةَ؛ لأَنَّ القُدْرَةَ صِفَةٌ واحِدَةٌ ولا يَجُوزُ أَنْ يُعَبَّرَ بالاثْنَينِ عَنِ الواحِدِ. ولا يَجُوزُ أَنْ يُرادَ بِهِ النِّعْمَةَ لأَنَّ نِعَمَ

---

(١)«كتاب التوحيد» (١/ ١١٨).

(٢)«اعتقاد أئمة الحديث» (ص: ٥١).

اللهِ لا تُحْصَى؛ فلا يَجُوزُ أنْ يُعَبَّرَ عَنِ النِّعَمِ الَّتِي لا تُحْصَى بِصِيغَةِ التَّثنِيةِ...) اهـ[1].

تَحْقِيقُ القَوْلُ فِي صِفَةِ الشِّمالِ:

أولاً: القَائِلونَ بإثباتِ الشِّمالِ أو اليَسَارِ، ومِنْهُمْ:

- الإمامُ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ[2].
- أبو يَعْلى الفَرَّاءُ[3].
- مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّاب[4].
- مُحَمَّدُ خَلِيل هَرَّاس[5].
- وَهُوَ ظَاهِرُ اخْتِيَارِ سَمَاحَةِ شَيْخِنَا الإمَامِ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[6].

أَدِلَّتُهُمْ:

١- عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[7].

٢- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ فَضَرَبَ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦ / ٣٦٥- ٣٧٠) مختصراً.

(٢) في رده علىٰ بشر المريسي (ص: ١٥٥).

(٣) إبطال التأويلات (ص: ١٧٦).

(٤) كتاب التوحيد - الباب الأخير - (باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]).

(٥)في «تعليقه علىٰ كتاب التوحيد لابن خزيمة» (ص: ٦٦).

(٦)«مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» (٢٥/ ١٢٦/ ١٢٧).

(٧)مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار) (رقم:٢٧٨٨).

كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمْ الذَّرُّ وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي»[١].

ثانيًا: القَائِلُونَ بأَنَّ كِلتَي يَدَي اللهِ يَمِينٌ، لا شِمَالَ ولا يَسَارَ فِيهِمَا، وَمِنْهُمْ:

- الْإِمَامُ أَحْمَدُ[٢].
- الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ[٣].
- العَلَّامَةُ: مُحَمَّدُ نَاصِر الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ[٤].

أَدِلَّتُهُمْ:

اسْتَدَلُّوا بِمَا سَبَقَ مِنْ الأَحَادِيثِ الَّتي فِيهَا: «**وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمينٌ**»، و: «**يَمِينُ اللهِ**».

التَّرجِيحُ:

الأَظْهَرُ - واللهُ تَعَالى أَعْلَمُ - مِنْ قَولَي العُلَمَاءِ إِثْباتُ الشِّمَالِ للهِ تَعَالى، لاسيَّمَا مع ثُبوتِ الحَدِيثِ في ذَلِكَ، كَمَا هُوَ عِنْدَ الإِمَامِ مُسْلمٍ في«صَحِيحِهِ»؛ لأنَّ القَولَ بالجَمْعِ أَوْلَى مِنَ القَولِ بالشُّذوذِ؛ حَيْثُ أَنَّ القَولَ بالجَمْعِ عَمَلٌ بِجَمِيعِ النُّصوصِ، بِخِلافِ القَولِ بالشُّذوذِ، فإِنَّه عَمَلٌ ببعْضِهَا واطِّراحٌ للبَاقي، والواجِبُ العَمَلُ بِجَمِيعِ النُّصوصِ مَتى وُجِدَ السَّبيلُ إليْه، وسَبِيلُه هُنا الجَمْعُ بَينَ النُّصوصِ - عَلى القَولِ بأَنَّه يُوجَدُ تَعارضٌ في الظاهر-؛ وذَلِكَ بحَملِ رِوايةِ «وكِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» عَلى العَطَاءِ والمَنِّ، ورِوايَة «بِشِمَالِهِ» مِنْ حَيْثُ الاسْمِ مَعَ عَدَمِ تَوَهُّمِ النَّقصِ فِيهَا.

*****

---

(١) أخرجه أحمد (رقم: ٢٧٤٨٨) والحديث صححه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» الطبعة: الثالثة ١٤٠٥ - المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلىٰ (١/ ٣١٣).

(٣) «كتاب التوحيد» (١/ ١٥٩).

(٤) «كتاب التوحيد» (١/ ١٥٩).

مسألةٌ مُهمَّةٌ:

هَلْ يَصِحُّ الاستِشْهَادُ بِهَذا الخِلافِ الوَاقِعِ بَيْنَ السَّلَفِ «في إثْباتِ الشِمَالِ للهِ تَعَالى مِنْ نَفْيِهِ» عَلَى جَوازِ وقُوعِ الخِلافِ بَيْنَ السَّلَفِ في أمُورِ العَقِيدَةِ وأصُولِ السُّنَّةِ، وإنْزَالِ هَذَا عَلى الفِرَقِ والجَمَاعَاتِ المَوجُودَةِ اليَومَ، بِحَيْثُ أنَّه لا مَانِعَ مِنْ دُخُولِهَا كُلِّهَا في إطَارِ أهْلِ السُّنةِ مَعَ مُخَالَفَتِهَا لِجُمْلَةٍ مِنْ أصُولِ أهْلِ السُّنَّةِ؟

الْجَوَابُ:

قَالَ شَيْخُ الإسْلام ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ:

(وهَكَذَا الفِقْهُ إنَّمَا وَقَعَ فِيهِ الاخْتِلافُ لِمَا خَفِي عَلَيْهِمْ بَيانُ صَاحِبِ الشَّرْعِ ولكِنَّ هَذا إنَّمَا يَقَعُ النِّزاعُ في الدَّقِيقِ مِنْهُ وأمَّا الجَلِيلُ فلا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ. والصَّحَابَةُ أنْفُسُهُم تَنَازَعوا في بَعْضِ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَنَازَعُوا في العَقَائِدِ ولا في الطَّرِيقِ إلى اللهِ التي يَصِيرُ بِها الرَّجُلُ مِنْ أولِيَاءِ اللهِ الأبْرارِ المُقرَّبينَ.)اهـ[(١)] .

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ (والمَقْصُودُ أنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوانُ اللهِ عَلَيهِمْ لم يَقْتَتِلُوا قَطُّ لاخْتِلافِهِم في قَاعِدَةٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ أصْلًا وَلَمْ يَخْتَلِفُوا في شَيءٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ لا في الصِّفَاتِ ولا في القَدَرِ ولا مَسائِلِ الأسْمَاءِ والأحْكَامِ ولاَ مَسَائِلِ الإمَامَةِ لم يَخْتَلِفوا في ذَلِكَ بالاخْتِصَامِ بالأقوالِ فَضْلًا عَنِ الاقْتِتَالِ بالسَّيفِ بل كَانوا مُثبِتينَ لِصِفَاتِ اللهِ الَّتِي أخْبَرَ بِها عَنْ نَفْسِهِ نَافِينَ عَنْهَا تَمْثِيلِها بِصِفَاتِ المَخْلوقِينَ)[(٢)] .اهـ

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ **في«دَرءِ تَعَارُضِ العَقْلِ والنَقْلِ»** (فإنَّ أئِمَّةَ السُّنَّةِ والحَدِيثِ لَمْ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٢٧٤).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٣٦).

يَخْتَلِفُوا في شَيءٍ منْ أُصُولِ دِينِهِمْ)[1] . اهـ

وقَدْ سُئلَتِ اللَّجنَةُ الدَّائِمَةُ للبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ والإفْتاءِ هَذَا السُّؤالَ: هَل يَجُوزُ القَولُ: إنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اخْتَلَفوا في العَقِيدَةِ، مِثْل:رؤيةِ النَّبيِّ ﷺ لِرَبِّهِ سُبْحَانَه في لَيْلَةِ المِعْرَاجِ، وهَلْ المَوتى يَسْمَعُونَ أم لا، ويَقُولُ: إنَّ هَذا مِنَ العَقِيدَةِ؟

فأجَابَتْ (العَقِيدَةُ الإسلامِيَّةُ والحَمْدُ للهِ لَيْسَ فِيها اخْتِلافٌ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ولا غَيْرِهِم مِمَّن جَاءَ بَعدَهُمْ مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ؛ لأنَّهُمْ يَعْتَقِدونَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ والسُّنَّةُ، ولا يُحْدِثونَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِم أو بآرائِهِم، وهَذَا الذي سَبَّبَ اجْتِمَاعَهُمْ واتِّفَاقَهُم عَلَى عَقِيدَةٍ واحِدَةٍ ومَنْهَجٍ واحِدٍ؛ عَمَلًا بِقَولِه تَعَالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران:١٠٣].

ومِنْ ذَلِكَ مَسْألَةُ رُؤيةِ المُؤمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهُمْ مُجْمِعُونَ على ثُبُوتِها بِمُوجَبِ الأدِلَّةِ المُتَواتِرَةِ مِنْ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، ولم يَخْتَلِفوا فِيهَا.

وأمَّا الاخْتِلافُ في: هَلْ رَأى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ رُؤيَةً بَصَرِيَّةً، فَهُو اخْتِلافٌ في واقِعَةٍ مُعَيَّنَةٍ في الدُّنيَا، ولَيْسَ اخْتِلافٌ[2] في الرُّؤيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، والَّذي عَلَيْهِ جُمْهُورُهُم وهو الحَقُّ أنَّه ﷺ رَأى رَبَّهُ بِقَلْبِه لا بِبَصَرِه؛ لأنَّهُ ﷺ لمَّا سُئِلَ عَن ذَلِكَ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**». فَنَفَى رَؤيَتَه لِرَبِّهِ بِبَصَرِهِ في هَذَا المُقَامِ لِوجُودِ الحِجَابِ المَانِعِ مِن ذَلِكَ وَهو النُّورُ، ولأنَّهُمْ مُجْمِعُون على أنَّ أحَدًا لا يَرى رَبَّه في هَذِه الدُّنْيَا،[3] كَمَا في الحَدِيثِ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**»

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٦٣) طبعة: دار الكنوز الأدبية - الرياض ١٣٩١هـ

(٢) كذا في «فتاوى اللجنة الدائمة» والصواب (وليس اختلافاً)؛ حيث إنَّ كلمة (اختلافاً) موقعها الإعرابي خبر ليس منصوب.

(٣) وإن تعجب فعجبٌ قول بعضهم: إنَّ الأنبياء والملائكة عليهم السلام اختلفوا في العقيدة !!! فنقول كما =

رَوَاهُ مُسْلِمٌ، إلا في حَقِّ نَبيِّنَا ﷺ. والصَّحِيحُ أَنَّهُ لم يَرَهُ بِهَذَا الاعْتِبَارِ.

وباللهِ التَّوفِيقِ، وصلَّى اللهُ على نَبيِّنَا مُحَمَّدٍ وآله وصَحْبِهِ وسَلَّمْ).

اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ للبُحُوثِ العِلْمَيَّةِ والإفتَاءِ:

عضو بكر أبو زيد.

عضو صالح الفوزان.

عضو عبد الله بن غديان.

الرئيس عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ (١).

وسُئِلَ الشَيْخُ العَلَّامَةُ صَالِحٌ الفَوْزَانُ حَفِظَهُ اللهُ: أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُم هَلْ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الصَّحَابَةَ قَدِ اخْتَلَفوا في بَعْضِ مَسَائِلِ العَقِيدَةِ؟

فأَجَابَ رَعَاهُ اللهُ (مَنْ قَالَ هَذَا؟ مَا ذُكِرَ عَنِ الصَّحَابَةِ اخْتِلافٌ في العَقِيدَةِ أَبَداً حَاشَا وكَلَّا؛ الذي يَدَّعي أَنَّهُمْ اخْتَلَفوا في شيءٍ من العَقِيدَةِ كَذَّابٌ) (٢). اهـ

=

قال الله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾. ولستُ أدري والله أين ذهبت عقول هؤلاء؟!!!

ولمَّا قيل لبعضهم: أين الدليل علىٰ دعواك؟ قال: الدليل الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما في قاتل المئة وفيه: فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِيْ صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الأَرْضِ الَّتِيْ أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ.

وهذا وايم الله من عجائب الاستشهاد، وإننا لنطالب هؤلاء المساكين أن يأتوا بمن استشهد بهذا من أهل العلم علىٰ ما ذهبوا إليه، ولا أُخالُ أنهم سيفعلون ولو عُمِّروا عُمْرَ نوح عليه السلام !!! وصدق الله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦].

وها هي فتوىٰ اللجنة الدائمة زادها الله عزّاً وتمكيناً تنفي ما قالوه، ألا فليتب هؤلاء إلىٰ الله، ويُبينوا للناس ضلال ما قالوه، فإنَّ ذلك شرطٌ لقبول توبتهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

(١) «فتاوىٰ اللجنة المجموعة الثانية» (١/ ٢٨، ٢٩).

(٢) الفتوىٰ علىٰ «موقع» فضيلة شيخنا صالح الفوزان حفظه الله بتاريخ ٤/ ٥/ ٢٠١٠ م.

وسُئِلَ العَلَّامَةُ صَالِحٌ الفَوزَانْ حَفِظَه اللهُ كَمَا في «مَوْقِعِه الرَّسْميِّ»:أحَسَنَ اللهُ إِلَيْكَمُ صَاحِبَ الفَضِيلَةِ، وهَذَا سَائِلٌ يَقُولُ: يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: إنَّ السَّلَفَ اخْتَلَفُوا في بَعْضِ مَسَائِلِ العَقِيدَةِ مثل: هَلْ رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ المِعْراجِ، وأنَّ هَذا حَصَلَ بَيْن الصَّحَابَة فَهَلْ هَذَا الكَلَامُ صَحِيحٌ؟

فأجَابَ حَفِظَه اللهُ (مَا هُو في مَسَائِلِ العَقِيدَةِ؛ مَسَائِلُ العَقِيدَةِ إثْبَاتُ الرَّؤيَة في الجَنَّةِ؛ أنَّ المُؤمِنينَ يَرونَهُ في الجَنَّةِ؛ أَمَّا في الدُّنيا لا يراهُ أحَدٌ ولا رَآه مُوسَى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، هَذَا في الدُّنيَا ولا هو بِهَذَا اخْتِلافٌ في العَقِيدَةِ؛ هَذا اخْتِلافٌ هَل وَقَعَتِ الرُّؤيَةُ لأحَدٍ في الدُّنيَا أو لم تَقَعْ، مَا هُوَ باخْتِلافٍ في العَقِيدَةِ؛ رُؤيةُ اللهِ في الجَنَّةِ هَذِه اتَّفق عَلَيْهَا أهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ) اهـ[١] .

وسُئِلَ الشَّيخُ العَلَّامَةُ صَالِحُ اللُّحَيدَانُ حَفِظَه اللهُ ورَعَاه:

السُّؤالُ: أحْسَنَ إلَيْكُمْ سَمَاحَةَ الشَّيخ؛ هُنَالِكَ مَن يُقَرِّرُ ويَقُولُ :إنَّ الصَّحَابَةَ اخْتَلَفوا في مَسَائِلِ العَقِيدَةِ فَمَا حُكْمُ ذَلِكَ أَفْتُونَا مَأجُورِينَ؟

فأجَابَ رَعَاه اللهُ (أسْتَغْفِرُ اللهَ ! هَذَا لايَقُولُه إلا مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ، يَقُولُ الصَّحَابَةُ اخْتَلَفوا!! الصَّحَابَةُ أهْلُ عَقِيدَةٍ إذا وُجِدَ خِلافٌ بَيْنَهُم فإنَّمَا هو في بَعْضِ الأمُورِ الاجْتِهَادِيَّةِ في الأعْمَالِ؛ وأمَّا في أمُورِ العَقِيدَةِ بأنَّ اللهَ واحدٌ أحدٌ؛ أنَّه السَّمِيعُ البَصِيرُ؛ أنَّه الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ؛ أنَّهُ الخَلَّاقُ؛ أنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ؛ المُطَّلعُ عَلى كُلِّ شَيءٍ؛ لا لم يَخْتَلِفوا، ولا يُثِيرُ هَذَا الأمْرَ إلا دَاعِيَةُ فِتْنَةٍ إمَّا أنَّهُ يَتَنَكَّرُ في إدِّعَائِهِ أنَّهُ مِنْ أهْلِ الخَيْرِ قَدْ يَكُونُ عَرَفَ خَيْراً وصَارَ يَتَحَدَّثُ بالخَيْرِ الذي يَعْرِفُهُ لِيوهِمَ النَّاسَ وليَجُرَّهُم إلى البَاطِلِ الذي يَجْنَحُ

(١) علىٰ «الموقع الرسمي» لفضيلة الشيخ حفظه الله بتاريخ ٢١/ ٦/ ٢٠١٠ م

إليْهِ ويَحْرصُ على إشَاعَتِه؛ إنْ كَانَ مِنَ المُغْتَرِّينَ فليَسْتَغْفِرِ اللهَ وليَتُبْ وليَرْجِعْ إلى أهْلِ العِلْمِ يَسْأَلُهُمْ؛ وإنْ كَانَ مِمَّن يُحِبُّ أنْ يُخْفِيَ المَقَاصِدَ ويُغَطِّيَ أهْدَافَهُ فَليُفضَحَ لِيتوقَّ النَّاسُ شَرَّهُ) اهـ[1] .

*****

الخَطَأُ الثَّاني:

تأويلُه عَفَا اللهُ عَنْهُ صِفَةَ اسْتِطَابَةِ الرَّوَائِحِ:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْه (قَوْله ﷺ: «لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لَخُلُوفُ».)

ثُمَّ قَالَ (وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ: فَقَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمَازِرِيُّ: هَذَا مَجَازٌ وَاسْتِعَارَةٌ؛ لِأَنَّ اِسْتِطَابَةَ بَعْضِ الرَّوَائِحِ مِنْ صِفَاتِ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَهُ طَبَائِعُ تَمِيلُ إِلَى شَيْءٍ فَتَسْتَطِيبُهُ، وَتَنْفِرُ مِنْ شَيْءٍ فَتَسْتَقْذِرُهُ، وَاَللهُ تَعَالَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ذَلِكَ، لَكِنْ جَرَتْ عَادَتُنَا بِتَقْرِيبِ الرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ مِنَّا، فَاسْتُعِيرَ ذَلِكَ فِي الصَّوْمِ، لِتَقْرِيبِهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: يُجَازِيهِ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْآخِرَة، فَتَكُون نَكْهَتُهُ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، كَمَا أَنَّ دَمَ الشَّهِيدِ يَكُونُ رِيحُهُ رِيحَ الْمِسْكِ.

وَقِيلَ: يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنَ الثَّوَابِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْصُلُ لِصَاحِبِ الْمِسْكِ.

وَقِيلَ: رَائِحَتُهُ عِنْدَ مَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ عِنْدنَا، وَإِنْ كَانَتْ رَائِحَةُ الْخُلُوفِ عِنْدَنَا خِلَافَهُ.

وَالْأَصَحُّ مَا قَالَهُ الدَّاوُدِيُّ مِنَ الْمَغَارِبَةِ، وَقَالَهُ مَنْ قَالَ مِنْ أَصْحَابِنَا: إِنَّ

---

(١) محاضرة «صفات الفرقة الناجية والطائفة المنصورة».

الْخُلُوفَ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنَ الْمِسْكِ، حَيْثُ نُدِبَ إِلَيْهِ فِي الْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ وَمَجَالِسِ الْحَدِيثِ وَالذِّكْرِ وَسَائِرِ مَجَامِعِ الْخَيْرِ)[1].

التَّعْلِيقُ:

اسْتِطَابَةُ الْرَّوَائِحِ: صفةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ للهِ ﷻ بالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ كَمَا فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ.

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(مِنَ المَعْلُومِ أنَّ أطيَبَ مَا عِنْدَ النَّاسِ مِنْ الرَّائِحَةِ رَائِحَةُ المِسْكِ؛ فمثَّلَ النَّبيُّ الخُلُوفَ عِنْدَ اللهِ تَعَالى بِطِيبِ رَائِحَةِ المِسْكِ عِنْدَنَا وأعظَمَ، ونِسْبَةُ اسْتِطَابَةِ ذَلِكَ إليْهِ ﷻ كَنِسبَةِ سَائِرَ صِفَاتِهِ وأفْعَالِهِ إليْهِ فإنَّها اسْتِطَابَةٌ لا تُمَاثِلُ اسْتِطَابَةَ المَخْلوقينَ كَمَا أنَّ رِضَاهُ وغَضَبَهُ وفَرَحَهُ وكَرَاهِيَتَهُ وحُبَّهُ وبُغْضَهُ لا تُمَاثِلُ ما للمَخْلُوقِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا أنَّ ذَاتَهُ ﷻ لا تُشْبِهُ ذَواتَ خَلْقِه، وصِفَاتُه لا تُشْبِه صِفَاتِهُمْ وأفْعَالَهُمْ، وهو ﷻ يَسْتَطِيبُ الكَلِمَ الطَّيِّبَ فَيَصْعَدَ إليْهِ والعَمَلَ الصَّالِحَ فَيَرفَعَهُ وليْسَتْ هَذِه الاسْتِطَابَةُ كاسْتِطَابَتِنَا، ثُمَّ إنَّ تَأويلَهُ لا يَرفَعُ الإشْكَالَ؛ إذاً ما اسْتَشكَلَهُ هَؤلاء مِنَ الاسْتِطَابَةِ يَلزَمُ مِثْلَهُ في الرِّضا فإنْ قَالَ: رِضَاهُ ليْسَ كَرِضَا المَخْلوقِينَ فَقُولُوا: إسْتِطَابَتُهُ لَيْسَتْ كاسْتِطَابَةِ المَخْلوقِين وَعَلى هَذَا جَمِيعُ مَا يجِيءُ مِنْ هَذا البَابِ)[2].

*****

الخَطَأُ الثَّالِثُ:

تَأويلُهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ صِفَةَ بَسْطِ الْيَدِّ بِنَشْرِ الرَّحْمَةِ:

قَالَ عَفَا الله عَنْهُ (قَوْلُهُ: «**ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ** ﷻ»: هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى نَشْرِ رَحْمَتِهِ وَكَثْرَةِ

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٨/ ٣٠).

(٢) «الوابل الصيب» (١/ ٥٢).

عَطَائِهِ وَإِجَابَتِهِ وَإِسْبَاغِ نِعْمَتِهِ)[1].

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وَلَا يَخْتَصُّ قَبُولُهَا بِوَقْتٍ، وَقَدْ سَبَقَتِ الْمَسْأَلَةُ؛ فَبَسْطُ الْيَدِ اِسْتِعَارَةٌ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ، قَالَ الْمَازِرِيُّ: الْمُرَادُ بِهِ قَبُولُ التَّوْبَةِ، وَإِنَّمَا وَرَدَ لَفْظُ «بَسْطُ الْيَدِ» لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا رَضِيَ أَحَدُهُمُ الشَّيْءَ بَسَطَ يَدَهُ لِقَبُولِهِ، وَإِذَا كَرِهَهُ قَبَضَهَا عَنْهُ، فَخُوطِبُوا بِأَمْرٍ حِسِّيٍّ يَفْهَمُونَهُ، وَهُوَ مَجَازٌ، فَإِنَّ يَدَ الْجَارِحَةِ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى)[2].

التَّعْلِيقُ:

(البَسْطُ): يُوصَفُ اللهُ ﷻ بالبَسْطِ، وتُوصَفُ يَدُهُ بالبَسْطِ، وهِيَ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ، و«البَاسِطُ» اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷻ.

الدَّلِيلُ مِنَ الكِتَابِ العَزِيزِ:

١- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

٢- قَوْلُهُ ﷻ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

٣- وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [الإسراء:٣٠].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

١- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»[3].

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٦/ ٣٩).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٧/ ٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (باب في التسعير) (رقم: ٣٤٥١)، والترمذي (باب في التسعير) (رقم: ١٣١٤)، وابن ماجه باب (من كره أن يسعر) (رقم: ٢٢٠٠)، وأحمد في«المسند» (٣/ ١٥٦)، وصححه الترمذي. وكذا الألباني في«صحيح الجامع» (رقم: ١٨٤٦).

٢- عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَرْجَانَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلَا ظَلُومٍ**». قَالَ مُسْلِمٌ: «ابْنُ مَرْجَانَةَ هُو سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَمَرْجَانَةُ أُمُّهُ». حَدَّثَنَاهُ هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلَالٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: «مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ، وَلَا ظَلُومٍ»(١).

٣- عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

(وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِبَسْطِ الْيَدَيْنِ فَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤] وَوَصَفَ بَعْضَ خَلْقِهِ بِبَسْطِ الْيَدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩] وَلَيْسَ الْيَدُ كَالْيَدِ وَلَا الْبَسْطُ كَالْبَسْطِ؛ وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالْبَسْطِ الْإِعْطَاءَ وَالْجُودَ: فَلَيْسَ إعْطَاءُ اللهِ كَإِعْطَاءِ خَلْقِهِ وَلَا جُودُهُ كَجُودِهِمْ وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ.)اهـ(٣).

*****

(١) أخرجه مسلم(بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ) (رقم: ٧٥٨).
(٢) أخرجه مسلم (بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ) (رقم: ٢٧٥٩).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥).

الخَطَأُ الرَّابِعُ:

تَأْوِيلُهُ عَفَا اللهُ عَنْهُ صِفَةَ الضَّحِكِ بالرِّضَى:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ(قَوْلُهُ: «فَلَا يَزَال يَدْعُو الله تَعَالَى حَتَّى يَضْحَك اللهُ تَعَالَى مِنْهُ».

قَالَ الْعُلَمَاءُ: ضَحِكُ اللهِ تَعَالَى مِنْهُ هُوَ رِضَاهُ بِفِعْلِ عَبْدِهِ وَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ وَإِظْهَارُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَإِيجَابُهَا عَلَيْهِ. وَاَللهُ أَعْلَمُ)[1].

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (قَوْلُهُ: «قَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

قَدْ قَدَّمْنَا مَعْنَى الضَّحِكِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَهُوَ الرِّضَى وَالرَّحْمَةُ وَإِرَادَةُ الْخَيْرِ لِمَنْ يَشَاءُ رَحْمَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ. وَاَللهُ أَعْلَمُ)[2].

وَقَالَ: (قَوْلُهُ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُسْتَشْهَدُ»[3].

قَالَ الْقَاضِي: الضَّحِكُ هُنَا اِسْتِعَارَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ الضَّحِكُ الْمَعْرُوفُ فِي حَقِّنَا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ مِنَ الْأَجْسَامِ، وَمِمَّنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ تَغَيُّرُ الْحَالَاتِ، وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الرِّضَا بِفِعْلِهِمَا، وَالثَّوَابُ عَلَيْهِ وَحَمْدُ فِعْلِهِمَا وَمَحَبَّتُهُ، وَتَلَقِّي رُسُلُ اللهِ لَهُمَا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الضَّحِكَ مِنْ أَحَدِنَا إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ مُوَافَقَتِهِ مَا يَرْضَاهُ، وَسُرُورِهِ وَبِرِّهِ لِمَنْ يَلْقَاهُ، قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هُنَا: ضَحِكَ مَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى الَّذِينَ يُوَجِّهُهُمْ لِقَبْضِ رُوحِهِ وَإِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ كَمَا يُقَالُ: قَتَلَ السُّلْطَانُ فُلَانًا أَيْ: أَمَرَ بِقَتْلِهِ)[4].

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٧/ ٧٦).
(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ٤٣).
(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٣/ ٣٦).
(٤) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٣/ ٣٦).

التَّعْلِيقُ:

الضَّحِكُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ ﷻ الفِعْلِيَّةِ الخَبَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللهُ:

(بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ ضَحِكِ رَبِّنَا ﷻ بِلَا صِفَةٍ تَصِفُ ضَحِكَهُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لَا وَلَا يُشَبَّهُ ضَحِكُهُ بِضَحِكِ الْمَخْلُوقِينَ، وَضَحِكُهُمْ كَذَلِكَ، بَلْ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَضْحَكُ، كَمَا أَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَسْكُتُ عَنْ صِفَةِ ضَحِكِهِ جَلَّ وَعَلَا، إِذِ اللهُ ﷻ اسْتَأْثَرَ بِصِفَةِ ضَحِكِهِ، لَمْ يُطْلِعْنَا عَلَى ذَلِكَ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ، بِقُلُوبِنَا مُنْصِتُونَ عَمَّا لَمْ يُبَيِّنْ لَنَا، مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ.)اهـ (١)

وَسَاقَ رَحِمَهُ اللهُ جُمْلَةً كَثِيرَةً مِنَ الأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ بَطَّةَ العُكْبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ ﷻ يَضْحَكُ قَالَ الشَّيْخُ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ تَصْدِيقَ الْآثَارِ الصَّحِيحَةِ، وَتَلَقِّيَهَا بِالْقَبُولِ، وَتَرْكَ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا بِالْقِيَاسِ وَمُوَاضَعَةِ الْقَوْلِ بِالْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ، وَالْمُؤْمِنَ هُوَ الْمُصَدِّقُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]، فَمِنْ عَلَامَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصِفُوا اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِمَّا نَقَلَتْهُ الْعُلَمَاءُ، وَرَوَاهُ الثِّقَاتُ مِنْ أَهْلِ النَّقْلِ، الَّذِينَ هُمُ الْحُجَّةُ فِيمَا رَوَوْهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالسُّنَنِ وَالْآثَارِ، وَلَا يُقَالُ فِيمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: كَيْفَ؟ وَلَا لِمَ؟ بَلْ يَتَّبِعُونَ وَلَا يَبْتَدِعُونَ، وَيُسَلِّمُونَ، وَلَا يُعَارِضُونَ، وَيَتَيَقَّنُونَ وَلَا يَشْكُونَ وَلَا يَرْتَابُونَ، فَكَانَ مِمَّا صَحَّ عَنِ

---

(١) «كتاب التوحيد» (٢/ ٥٦٣).

النَّبِيِّ ﷺ، رَوَاهُ أَهْلُ الْعَدَالَةِ، وَمَنْ يَلْزَمُ الْمُؤْمِنِينَ قَبُولُ رِوَايَتِهِ وَتَرْكُ مُخَالَفَتِهِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَضْحَكُ فَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ مَذْمُومُ الْحَالِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، دَاخِلٌ فِي الْفِرَقِ الْمَذْمُومَةِ وَأَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْمَهْجُورَةِ، عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ بِرَحْمَتِهِ)[1].

وَسَاقَ رَحِمَهُ اللهُ جُمْلَةً كَثِيرَةً مِنَ الأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو سَعِيدٍ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (فادَّعى الْمُعَارِضُ فِي تَفْسِيرِ الضَّحِكِ أنَّ ضَحِكَ الرَّبِّ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ، وَصَفْحُهُ عَنِ الذُّنُوبِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: رَأَيْتَ زَرْعًا يَضْحَكُ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدْ كَذَبْتَ فِيمَا رَوَيْتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الضَّحِكِ شَبَّهْتَ ضَحِكَهُ بِضَحِكِ الزَّرْعِ؛ لأنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ لَيْسَ بِضَحِكٍ، إِنَّمَا هُوَ خُضْرَتُهُ وَنَضَارَتُهُ، فَجُعِلَ مَثَلًا لِلضَّحِكِ، فعمَّنْ رَوَيْتَ هَذَا التَّفْسِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، أنَّ ضَحِكَ الرَّبِّ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ؟ فسمِّهِ وَإِلَّا فَأَنْتَ الْمُحَرِّفُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِتَأْوِيلٍ ضَلَالٍ، إِذْ شَبَّهْتَ ضَحِكَ اللهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ الْفَعَّالِ لِمَا يَشَاءُ ذِي الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَالسَّمْعِ السَّمِيعِ والبصرِالبصيرِ، بِضَحِكِ الزَّرْعِ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا ضَحِكَ لَهُ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الضَّحِكِ وَإِنَّمَا ضَحِكُهُ يُمَثَّلُ، وَضَحِكُ اللهِ لَيْسَ يُمَثَّلُ.

وَيْحَكَ! إِنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ نَضَارَتُهُ وَزَهْرَتُهُ وَخُضْرَتُهُ، فَهُوَ أَبَدًا مَا دَامَ أَخْضَرُ ضَاحِكٌ لِكُلِّ أَحَدٍ لِلْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ وَلِمَنْ يَسْقِيهِ، وَلِمَنْ يَحْصُدُهُ، لَا يَقْصِدُ بِضَحِكِهِ إِلَى شَيْءٍ. وَاللهُ يَقْصِدُ بِضَحِكِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ عِنْدَمَا يُعْجِبُهُ فِعَالُهُمْ، وَيَصْرِفُهُ عَنْ أَعْدَائِهِ فِيمَا يُسْخِطُهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ)[2].

---

(١) «الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ٩١).

(٢) «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله ﷻ من التوحيد» (٢/ ٧٧١ – ٧٧٣).

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَضْحَكُ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ (اعْلَمُوا وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَصِفُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّوَجَلَّ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ ﷺ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ مِمَّنِ اتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَا يُقَالُ فِيهِ: كَيْفَ؟ بَلِ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَالْإِيمَانُ بِهِ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَضْحَكُ، كَذَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ صَحَابَتِهِ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَا مَنْ لَا يُحْمَدُ حَالُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ وَسَنَذْكُرُ مِنْهُ مَا حَضَرَنَا ذِكْرُهُ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ)[1].

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ الضَّحِكِ مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوَاهَا الْأَئِمَّةُ، وَرَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّإِ مِنْهَا حَدِيثَهُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَسْتَشْهِدُ**» وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَهْلُ الصِّحَاحِ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ وَغَيْرِ مَالِكٍ، وَرَوَاهُ أَيْضًا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الْإِمَامُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ وَحَدَّثَ بِهِ.

وَقَدْ رَوَى صَاحِبُ الصَّحِيحَيْنِ مِنْهَا قِطْعَةً مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ وَمِثْلَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الطَّوِيلِ الْمَشْهُورَ وَفِيهِ: «**فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ**» وَرَوَاهُ أَعْلَمُ التَّابِعِينَ

(١) «الشريعة» (٢/ ١٠٥١).

بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرُ سَعِيدٍ أَيْضًا، وَرَوَاهُ عَنْهُ الزُّهْرِيُّ وَعَنْهُ أَصْحَابُهُ)[1] .

*****

الخَطَأُ الخَامِسُ:

تَأْوِيلُهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ صِفَةَ الصُّورَةِ بِالصِّفَةِ:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**». فَالْمُرَادُ بِالصُّورَةِ هُنَا الصِّفَةُ، وَمَعْنَاهُ: فَيَتَجَلَّى اللهُ ﷻ لَهُمْ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَهَا وَيَعْرِفُونَهُ بِهَا، وَإِنَّمَا عَرَفُوهُ بِصِفَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ رُؤْيَةٌ لَهُ ﷻ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالصُّورَةِ عَنِ الصِّفَةِ لِمُشَابَهَتِهَا إِيَّاهَا وَلِمُجَانَسَةِ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الصُّورَةِ)[2] .

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ**» اِعْلَمْ أَنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلَفِ أَوْ كُلِّهِمْ أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا، بَلْ يَقُولُونَ: يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَنَعْتَقِدَ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ مَعَ اِعْتِقَادِنَا الْجَازِمِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّجَسُّمِ وَالِانْتِقَالِ

---

(١) «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٦١٤).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ٢٠).

وَالتَّحَيُّزِ فِي جِهَةٍ وَعَنْ سَائِرِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَاخْتَارَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُحَقِّقِيهِمْ وَهُوَ أَسْلَمُ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهَا، وَإِنَّمَا يَسُوغُ تَأْوِيلُهَا لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَقَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، ذَا رِيَاضَةٍ فِي الْعِلْمِ، فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ يُقَالُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَيَأْتِيهِمُ اللهُ» أَنَّ الْإِتْيَانَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ غَابَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يُمْكِنُهُ رُؤْيَتَهُ إِلَّا بِالْإِتْيَانِ، فَعَبَّرَ بِالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ هُنَا عَنِ الرُّؤْيَةِ مَجَازًا، وَقِيلَ: الْإِتْيَانُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى سَمَّاهُ إِتْيَانًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ «يَأْتِيهِمُ اللهُ» أَيْ: يَأْتِيهِمْ بَعْضُ مَلَائِكَةِ اللهِ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا الْوَجْهُ أَشْبَهُ عِنْدِي بِالْحَدِيثِ، قَالَ: وَيَكُونُ هَذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَهُمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي أَنْكَرُوهَا مِنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْمَلَكِ وَالْمَخْلُوقِ، قَالَ: أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ: يَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَةٍ، أَيْ: يَأْتِيهِمْ بِصُورَةٍ وَيَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ صُوَرِ مَلَائِكَتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْإِلَهِ لِيَخْتَبِرَهُمْ، وَهَذَا آخِرُ اِمْتِحَانِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْمَلَكُ أَوْ هَذِهِ الصُّورَةُ: «أَنَا رَبُّكُمْ». رَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقِ مَا يُنْكِرُونَهُ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ رَبَّهُمْ، وَيَسْتَعِيذُونَ بِاللهِ مِنْهُ.)[1].

وَقَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «فَإِنَّ الله خَلَقَ آدَم عَلَى صُورَتِهِ».

فَهُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بَيَانُ حُكْمِهَا وَاضِحًا وَمَبْسُوطًا، وَأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُمْسِكُ عَنْ تَأْوِيلِهَا، وَيَقُولُ: نُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ، وَلَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِهَا، وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ، وَهُوَ أَحْوَطُ وَأَسْلَمُ. وَالثَّانِي أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِتَنْزِيهِ

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ١٩، ٢٠).

اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. قَالَ الْمَازِرِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ بِهَذَا اللَّفْظِ ثَابِتٌ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»، وَلَيْسَ بِثَابِتٍ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَكَأَنَّ مَنْ نَقَلَهُ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي وَقَعَ لَهُ، وَغَلِطَ فِي ذَلِكَ. قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَقَدْ غَلِطَ اِبْنُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَجْرَاهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، قَالَ: لِلَّهِ تَعَالَى صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ظَاهِرُ الْفَسَادِ؛ لِأَنَّ الصُّورَةَ تُفِيدُ التَّرْكِيبَ، وَكُلُّ مُرَكَّبٍ مُحْدَثٌ، وَاَللهُ تَعَالَى لَيْسَ هُوَ مُرَكَّبًا، فَلَيْسَ مُصَوَّرًا. قَالَ: وَهَذَا كَقَوْلِ الْمُجَسِّمَةِ: جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ لَمَّا رَأَوْا أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الْبَارِي ﷻ شَيءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ طَرَدُوا الِاسْتِعْمَال فَقَالُوا: جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ. وَالْفَرْقُ أَنَّ لَفْظَ شَيءٍ لَا يُفِيدُ الْحُدُوثَ، وَلَا يَتَضَمَّن مَا يَقْتَضِيهِ، وَأَمَّا جِسْمٌ وَصُورَةٌ فَيَتَضَمَّنَانِ التَّأْلِيفَ وَالتَّرْكِيبَ، وَذَلِكَ دَلِيلُ الْحُدُوثِ. قَالَ: الْعَجَبُ مِن ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي قَوْلِهِ: صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ، مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ عَلَى رَأْيِهِ يَقْتَضِي خَلْقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، فَالصُّورَتَانِ عَلَى رَأْيِهِ سَوَاءٌ، فَإِذَا قَالَ: لَا كَالصُّوَرِ تَنَاقَضَ قَوْلُهُ. وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: إِنْ أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ: صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُؤَلَّفٍ وَلَا مُرَكَّبٍ فَلَيْسَ بِصُورَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَلَيْسَتِ اللَّفْظَةُ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُوَافِقًا عَلَى اِفْتِقَارِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِهِ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الضَّمِيرُ فِي «صُورَتِهِ» عَائِدٌ عَلَى الْأَخِ الْمَضْرُوبِ، وَهَذَا ظَاهِرُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَعُودُ إِلَى آدَمَ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَقَالَتْ طَائِفَة: يَعُودُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَيَكُونُ الْمُرَادُ إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ وَاخْتِصَاصٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ وَكَمَا يُقَالُ فِي الْكَعْبَةِ: بَيْتُ اللهِ وَنَظَائِرِهِ. وَاَللهُ أَعْلَمُ)[1].

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٦/ ١٦٦).

التَّعْلِيقُ:

الصُّورَةُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ عَزَّ وجَلَّ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا» ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، قُلْنَا:

يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء:٤٠]، «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[1].

(١) سيأتي تخريجه في التعليق الذي يليه إن شاء الله.

٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، - قَالَ أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟**» قَالَ: «**قُلْتُ: لَا**»، قَالَ: «**فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ**» أَوْ قَالَ: «**فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الكَفَّارَاتِ، وَالكَفَّارَاتُ المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالدَّرَجَاتُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[(١)].

قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَالَّذِي عِنْدِي -وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ- أَنَّ الصُّورَةَ لَيْسَتْ بِأَعْجَبَ مِنَ الْيَدَيْنِ، وَالْأَصَابِعِ، وَالْعَيْنِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْإِلْفُ لِتِلْكَ، لِمَجِيئِهَا فِي الْقُرْآنِ، وَوَقَعَتِ الْوَحْشَةُ مِنْ هَذِهِ، لِأَنَّهَا لَمْ تَأْتِ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِالْجَمِيعِ، وَلَا نَقُولُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ بِكَيْفِيَّةٍ وَلَا حَدٍّ)[(٢)].

وَمَنْ أَرَادَ التَّفْصِيلَ فِي ذَلِكَ فَلْيُراجِعْ (بَيَانَ تَلبِيسِ الجَهْمِيَّةِ فِي تَأسِيسِ بِدَعِهِمُ الكَلامِيَّةِ) لِشَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. فَقَدْ نَاقَشَ ذَلِكَ بِمَا لا أَعْلَمُ أَحَدَاً سَبَقَهُ لِذَلِكَ. وقَدْ نَصَحَ بِذَلِكَ شَيْخُنَا عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ اللهِ الراجحِيُّ سَلَّمَهُ اللهُ.

*****

(١) أخرجه التِّرمذي (بَاب وَمِنْ سُورَةِ ص) (رقم: ٣١٥٧). وصحَّحه العلَّامة الألباني في «صحيح ظلال الجنة» (رقم: ٣٨٨) و«التعليق الرغيب» (١/ ٩٨ - ١٢٦).

(٢) «تأويل مختلف الحديث» (١/ ٣٢٢).

الخَطَأُ السَّادِسُ:

تَأْويلُهُ غَفَرَ اللهُ لَه صِفَةَ السَّاقِ بِالشِّدَّةِ:

قالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «**فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**»: ضَبْطُ «يُكْشَفُ» بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا وَهُمَا صَحِيحَانِ. وَفَسَّرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجُمْهُورُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ السَّاقَ هُنَا بِالشِّدَّةِ أَيْ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَأَمْرٍ مَهُولٍ، وَهَذَا مَثَلٌ تَضْرِبُهُ الْعَرَبُ لِشِدَّةِ الْأَمْرِ، وَلِهَذَا يَقُولُونَ: قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ شَمَّرَ سَاعِدَهُ وَكَشَفَ عَنْ سَاقِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالسَّاقِ هُنَا نُورٌ عَظِيمٌ، وَوَرَدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ابْنُ فَوْرَكٍ: وَمَعْنَى ذَلِكَ مَا يَتَجَدَّدُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَلْطَافِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَقِيلَ: قَدْ يَكُونُ السَّاقُ عَلَامَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ظُهُورِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى خِلْقَةٍ عَظِيمَةٍ لِأَنَّهُ يُقَالُ: سَاقٌ مِنَ النَّاسِ كَمَا يُقَالُ: رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، وَقِيلَ: قَدْ يَكُونُ سَاقٌ مَخْلُوقًا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَامَةً لِلْمُؤْمِنِينَ خَارِجَةً عَنِ السُّوقِ الْمُعْتَادَةِ، وَقِيلَ:كَشْفُ الْخَوْفِ وَإِزَالَةُ الرُّعْبِ عَنْهُمْ وَمَا كَانَ غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَهْوَالِ)[1].

وَقَالَ (قَوْلُهُ: «**فَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**»؛ قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ وَمَعْنَى مَا فِي الْقُرْآنِ ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ يَوْم يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَهَوْلٍ عَظِيمٍ أَيْ يُظْهِرُ ذَلِكَ. يُقَالُ: كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا إِذَا اِشْتَدَّتْ، وَأَصْلُهُ أَنَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِهِ كَشَفَ عَنْ سَاقِهِ مُسْتَمِرًّا فِي الْخِفَّةِ وَالنَّشَاطِ لَهُ)[2].

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٦/ ٢٧، ٢٨).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٨/ ٧٧).

التَّعْليقُ:

السَّاقُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ الخَبَريَّةِ، ثَابِتَةٌ للهِ تَعَالَى بِالكِتَابِ وصَرِيحِ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الكِتَابِ:

قولُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم:٤٢].

قَالَ العَلاَّمَةُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ نَاصِرٍ السِّعْديُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(أي: إذا كَانَ يَومُ القيَامَةِ، وانْكَشَفَ فِيهِ مِنَ القَلاقِلِ [والزَّلازِلِ] والأهْوالِ ما لا يَدْخُل تَحْتَ الوَهْمِ، وأتى البَارِي لفَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ومَجَازَاتِهِمْ فَكَشَفَ عَنْ سَاقِهِ الكَرِيمَةِ الَّتِي لا يُشْبِهُهَا شيءٌ، وَرَأَى الخَلائِقُ مِنْ جَلالِ اللهِ وعَظَمَتِهِ مَا لا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ، فَحِينَئِذٍ يُدْعَونَ إلى السُّجُودِ للهِ، فَيَسْجُدُ المُؤمِنُونَ الذينَ كَانُوا يَسْجُدونَ للهِ، طَوْعًا واخْتِيَارًا، ويَذْهَبُ الفُجَّارُ المُنافِقُونَ ليَسْجُدوا فَلا يَقْدِرونَ عَلى السُّجُودِ، وتَكُونُ ظُهورُهمْ كَصَيَاصِي البَقَرِ، لا يَسْتَطِيعُونَ الانْحِنَاءَ، وهَذَا الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ، فَإنَّهمْ كَانوا يُدْعَونَ في الدُّنيا إلى السُّجودِ للهِ وتَوحِيدِه وعِبادَتِهِ وهُمْ سَالِمُونَ، لا عِلَةَ فِيهِمْ، فَيستكْبِرونَ عَنْ ذَلِكَ ويَأْبَوْنَ، فلا تَسْألُ يَومَئِذٍ عَنْ حَالِهِمْ وسوءِ مآلِهِمْ، فإنَّ اللهَ قَدْ سَخِطَ عَلَيْهِمْ، وحَقَّتْ عَلَيهِمْ كَلِمَةُ العَذابِ، وتَقَطَّعَتْ أسْبابُهُم، ولم تَنْفَعْهُمُ النَّدامَةُ ولا الاعْتِذَارُ يَومَ القِيامَةِ، ففي هَذَا مَا يُزعِجُ القُلوبَ عَنِ المَقَامِ عَلى المَعاصِي، و[يُوجِبُ] التَّدارُكَ مُدَّةَ الإمكَانِ).اهـ[1].

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان». الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ - مؤسسة الرسالة.

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»[(١)].

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا» ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ

---

(١) رواه البخاري بَابُ (﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾) [القلم: ٤٢] (رقم: ٤٩١٩).

مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء:٤٠]، «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[1].

(١) البخاري بَابُ (قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]) (رقم: ٧٤٣٩).

قَالَ شَيخُ الإسْلام ابنُ تَيميَة رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّه منْ أينَ في ظاهرِ القرآنِ للهِ ساقٌ وليْسَ مَعَهُ إلا قَولُه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢] والصَّحَابةُ قدْ تَنازَعوا في تَفْسِيرِ الآيةِ هَل المُرادُ بهِ الكَشْفُ عَنِ الشِّدَةِ أو المُرادُ بِه أنَّه يَكْشِفُ الرَّبُ عَنْ سَاقِه ولمْ يَتَنازَعِ الصَّحَابةُ والتَّابعونَ فِيمَا يُذكَرُ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ إلَّا في هَذهِ الآيةِ بِخِلافِ قَوْلِه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] ونَحوِ ذَلِكَ فإنَّهُ لمْ يَتنازَعْ فيها الصَّحَابةُ والتَّابعونَ وذَلِكَ أنَّهُ ليْسَ في ظَاهِرِ القُرآنِ أنَّ ذَلِكَ صِفَةٌ للهِ تَعَالَى لأنَّهُ قَالَ. ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ولمْ يَقُلْ عَنْ ساقِ اللهِ ولا قَالَ يَكْشِفُ الرَّبُ عَنْ سَاقِه وإنَّما ذَكَرَ سَاقًا مُنكَّرةً غيرَ مُعرَّفَةٍ ولا مُضَافَةٍ وهَذَا اللَّفظُ بِمجرَّدِه لا يَدلُ عَلى أنَّها سَاقُ اللهِ والذينَ جَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى أثْبتُوهُ بالحَدِيثِ الصَّحِيحِ المُفَسِّرِ للقرآنِ وهو حَديثُ أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ المُخَرَّجُ في الصَّحيحَينِ الَّذي قَالَ فيه فَيكشِفُ الرَّبُ عَنْ سَاقِه وقَدْ يُقالُ إنَّ ظاهِرَ القُرآنِ يَدُلُّ عَلى ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ أنه أخْبَر أنَّهُ يُكشَفُ عَنْ سَاقٍ ويُدعَونَ إلى السُّجودِ؛ والسُّجودُ لايَصْلُحُ إلا للهِ فَعُلِمَ أنَّه هو الكَاشِفُ عَنْ سَاقِه وأيْضًا فحَمْلُ ذَلِك على الشِّدَةِ لا يَصِحُّ لأنَّ المُسْتَعمَلَ في الشِّدَةِ أنْ يُقالَ كَشَفَ اللهُ الشِّدةَ أي أزَالَهَا كَمَا قَالَ: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الزخرف:٥٠] وقال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ [الأعراف:١٣٥] وقال: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المؤمنون:٧٥] وإذا كَانَ المَعْروفُ مِنْ ذَلِك في اللُّغَةِ أنَّه يُقالُ كَشَفَ الشِّدةَ أي أزَالَها فَلفْظُ الآيةِ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وهذا يُرادُ به الإظْهارُ والإبَانَةُ كَمَا قَالَ كَشَفْنَا عَنْهُمُ وأيْضًا فَهُنَاكَ تَحْدُثُ الشِّدةُ ولا يُزيلُها فلا يَكشِفُ الشِّدَةَ يومَ القِيامَةِ لكنَّ هَذا الظَاهِرَ ليْسَ ظَاهِراً مِنْ مُجرَّدِ لفظِ سَاقٍ بل بالتَّركِيبِ والسِّياقِ وتدبُّرِ المَعْنَى)[1].

(١) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٥/ ٤٧٢ - ٤٧٤).

الخَطَأُ السَّابِعُ:

تَأْوِيلُهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ صِفَةَ القَبْضِ بِجَمْعِ الجَمَاعَةِ، أَوِ المَوْتِ:

قال عفا الله عنه (قَوْلُهُ ﷺ: «**فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ**». مَعْنَاهُ يَجْمَعُ جَمَاعَةً).اهـ[1].

وقال (وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: «**وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ**». فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ قُدْرَتُهُ ﷻ وَاحِدَةً فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِهَا الْمُخْتَلِفَاتِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ فِينَا لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِيَدَيْنِ، عَبَّرَ عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي ذَلِكَ بِالْيَدَيْنِ لِيُفْهِمَهُمُ الْمَعْنَى الْمُرَادَ بِمَا اعْتَادُوهُ مِنَ الْخِطَابِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ. هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْمَازِرِيِّ).اهـ[2].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «**وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**». ضَبَطُوهُ بِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: «الْفَيْضُ». بِالْفَاءِ وَالْيَاء الْمُثَنَّاة تَحْتُ. وَالثَّانِي: «الْقَبْضُ» بِالْقَافِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، وَذَكَرَ الْقَاضِي أَنَّهُ بِالْقَافِ، وَهُوَ الْمَوْجُودُ لِأَكْثَرِ الرُّوَاةِ، قَالَ: وَهُوَ الْأَشْهَرُ وَالْمَعْرُوفُ، قَالَ: وَمَعْنَى الْقَبْضِ الْمَوْتُ، وَأَمَّا الْفَيْضُ - بِالْفَاءِ - فَالْإِحْسَانُ وَالْعَطَاءُ وَالرِّزْقُ الْوَاسِعُ، قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْقَبْضِ بِالْقَافِ أَيْ الْمَوْت، قَالَ الْبَكْرَاوِيُّ: وَالْفَيْضُ: الْمَوْتُ. قَالَ الْقَاضِي قَيْسٌ: يَقُولُونَ: فَاضَتْ نَفْسُهُ - بِالضَّادِ - إِذَا مَاتَ، وَطَيٌّ يَقُولُونَ: فَاظَتْ نَفْسُهُ بِالظَّاءِ. وَقِيلَ: إِذَا ذُكِرَتِ النَّفْسُ فَبِالضَّادِ، وَإِذَا قِيلَ: فَاظَ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ النَّفْسِ فَبِالظَّاءِ.

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «**وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**».فَقَدْ يَكُونُ عِبَارَةً عَنِ الرِّزْقِ وَمَقَادِيرِهِ، وَقَدْ يَكُونُ عِبَارَةً عَنْ جُمْلَةِ الْمَقَادِيرِ. وَمَعْنَى «يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ» قِيلَ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْدِيرِ الرِّزْقِ يَقْتُرُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُوسِعُهُ عَلَى

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ٣٢).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٧/ ٨٠).

مَنْ يَشَاءُ، وَقَدْ يَكُونَانِ عِبَارَةً عَنْ تَصَرُّفِ الْمَقَادِيرِ بِالْخَلْقِ بِالْعِزِّ وَالذُّلِّ. وَاللهُ أَعْلَمُ)[1].

التَّعْليقُ:

سَيَأْتِي التَّعْلِيقُ عَلَى صِفَةِ القَبْضِ عِنْدَ التَّعْلِيقِ عَلَى الصِّفَةِ التَّالِيَةِ؛ وَهِيَ «صِفَةُ الطَّيِّ».

*****

الخَطَأُ الثَّامِنُ:

تَأْوِيلُهُ صِفَةَ الطَّيِّ بالضَّمِّ :

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَنَّ ابْنَ مِقْسَمٍ نَظَرَ إِلَى ابْنِ عُمرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: يَأْخُذُ اللهُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ، وَيَقُولُ: أَنَا اللهُ، وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا، أَنَا الْمَلِكُ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ**»، قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «**يَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا**» النَّبِيُّ ﷺ، وَلِهَذَا قَالَ: إِنَّ ابْنَ مِقْسَمٍ نَظَرَ إِلَى ابْنِ عُمَر كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى فَمُتَأَوَّلٌ عَلَى الْقُدْرَةِ، وَكَنَّى عَنْ ذَلِكَ بِالْيَدَيْنِ، لِأَنَّ أَفْعَالَنَا تَقَعُ بِالْيَدَيْنِ، فَخُوطِبْنَا بِمَا نَفْهَمُهُ، لِيَكُونَ أَوْضَحَ وَأَوْكَدَ فِي النُّفُوسِ، وَذَكَرَ الْيَمِينَ وَالشِّمَالَ حَتَّى يَتِمّ الْمِثَالُ، لِأَنَّا نَتَنَاوَلُ بِالْيَمِينِ مَا نُكْرِمُهُ، وَبِالشِّمَالِ مَا دُونَهُ وَلِأَنَّ الْيَمِينَ فِي حَقِّنَا يَقْوَى لِمَا لَا يَقْوَى لَهُ الشِّمَالُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَضَافَهَا إِلَى الْيَمِينِ، وَالْأَرَضِينَ إِلَى الشِّمَالِ، لِيَظْهَرِ التَّقْرِيبُ فِي الِاسْتِعَارَةِ، وَإِنْ كَانَ اللهُ ﷻ لَا يُوصَفُ بِأَنَّ شَيْئًا

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٧/ ٨١).

أَخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا أَثْقَلُ مِنْ شَيْءٍ، هَذَا مُخْتَصَرُ كَلَامِ الْمَازِرِيِّ فِي هَذَا. قَالَ الْقَاضِي: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ثَلَاثَةُ أَلْفَاظٍ: يَقْبِضُ، وَيَطْوِي، وَيَأْخُذُ؛ كُلُّهُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ لِأَنَّ السَّمَوَاتِ مَبْسُوطَةٌ، وَالْأَرَضِينَ مَدْحُوَّةٌ، وَمَمْدُودَةٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى مَعْنَى الرَّفْعِ وَالْإِزَالَةِ وَتَبْدِيلِ الْأَرْضِ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ فَعَادَ كُلُّهُ إِلَى ضَمِّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَرَفْعِهَا وَتَبْدِيلِهَا بِغَيْرِهَا، قَالَ: وَقَبْضُ النَّبِيِّ ﷺ أَصَابِعَهُ وَبَسْطُهَا تَمْثِيلٌ لِقَبْضِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَجَمْعِهَا بَعْدَ بَسْطِهَا، وَحِكَايَةٌ لِلْمَبْسُوطِ وَالْمَقْبُوضِ، وَهُوَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ، لَا إِشَارَةٌ إِلَى الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ الْقَابِضِ وَالْبَاسِطِ ﷻ،وَلَا تَمْثِيلٌ لِصِفَةِ اللهِ تَعَالَى السَّمْعِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْيَدِ الَّتِي لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ)[1].

التَّعْلِيقُ:

الطَّيُّ: صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالكِتَاب وَالسُّنَّةِ:

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر:٦٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**»[2].

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»(١٧/ ١٣١، ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (بَابٌ: يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ) (رقم: ٦٥١٩)، ومسلم (كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ) (رقم: ٢٧٨٧)، وابن ماجه (بَابٌ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ) (رقم: ١٩٢).

قَالَ أَبُو يَعْلَى الفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(اعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ إضَافَةَ «القَبْضِ والبَسْطِ» إلَى ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا لَمْ يَسْتَحِلْ إضَافَةُ خَلْقِ آدَمَ بِيَدِه إلَى ذَاتِهِ، والاسْتواءُ عَلَى عَرْشِهِ، وقَدْ عَضَّدَ ذَلِكَ قَولُه تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ فإنْ قِيلَ: القَبْضُ والبَسْطُ رَاجِعٌ إلَى القُدْرَةِ والسُّلطَانِ قِيلَ: هَذَا غَلَطٌ لِمَا بَيَّنَا فِيمَا قَبلُ وأنَّ جَميعَ الأشْياءِ فِي قُدرَتِه وسُلطَانِه، فلا مَعْنَى لِتَخْصيصِ السَّمَاءِ والأرْضِ بِذَلِكَ، ولأنَّه قَالَ: «يَأخُذُه بِيَدِهِ اليُمنَى» وَفِي لفظ آخر: «بِشِمَالِهِ» وهَذِه صِفَةُ ذَاتٍ لا تَخْتَصُ القُدرَةُ والسُّلطَانُ فإن قِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قولُه قَبَضَهَا بِمَعْنَى أفْنَاهَا، كَقَولِ القَائِلِ: قَبَضَ اللهُ رَوحَ فُلانٍ إلَيْهِ، أفْنَاهَا ثُمَّ بَسَطَهَا أَيْ ثُمَّ يُعِيدُهَا عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يُرِيدُ قِيلَ هَذَا غَلطٌ لوَجْهَينِ: أحَدُهُمَا: أَنَّهُ قَالَ يَقْبِضُهَا بِيَدِهِ، ولو كَانَ المُرادُ بِهِ الفَنَاءَ لَمْ يُعَلِّقْه باليدِّ، لأَنَّ فَنَاءَ الأشْياءِ لا يَخْتَصُ باليَدِّ).اهـ[1].

وقال شَيْخُنَا عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ اللهِ الرَّاجحيُّ حَفِظَهُ اللهُ:

(فيهِ إثْباتُ صِفَةِ القَبْضِ للهِ، وأنَّ اللهَ يَقْبِضُ ويَطْوي، وهيَ مِنَ الصِّفَاتِ الفِعْليَّةِ).اهـ[2].

*****

(١) «إبطال التأويلات» (١/ ٣٢٨، ٣٢٩).

(٢) «شرح سنن ابن ماجه» (الدرس الثالث عشر).

الخَطَأُ التَّاسِعُ:

تَأْوِيلُهُ صِفَةِ العَجَبِ بالرِّضا:

قال عفا الله عنه (قَوْلُهُ ﷺ: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»: قَالَ الْقَاضِي: الْمُرَادُ بِالْعَجَبِ مِنَ اللهِ رِضَاهُ ذَلِكَ. قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ عَجِبَتْ مَلَائِكَةُ اللهِ، وَأَضَافَهُ إِلَيْهِ ﷻ تَشْرِيفًا)[1].

التَّعْلِيقُ:

الْعَجَبُ صِفَةٌ مِنْ صفاتِ اللهِ ﷻ الفِعْلِيَّةِ الخَبَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ لَهُ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصَّافات:١٢].

قالَ الإمامُ ابنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

(قَوْلُهُ: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾: اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) بِضَمِّ التَّاءِ مِنْ عَجِبْتَ، بِمَعْنَى: بَلْ عَظُمَ عِنْدِي وَكَبُرَ اتِّخَاذُهُمْ لِي شَرِيكًا، وَتَكْذِيبُهُمْ تَنْزِيلِي وَهُمْ يَسْخَرُونَ وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ بِمَعْنَى: بَلْ عَجِبْتَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ وَيَسْخَرُونَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَكُونُ مُصِيبًا الْقَارِئُ بِهِمَا مَعَ اخْتِلَافِ مَعْنَيَيْهِمَا؟ قِيلَ: إِنَّهُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَ مَعْنَيَاهُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَعْنَيَيْهِ صَحِيحٌ، قَدْ عَجِبَ مُحَمَّدٌ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْفَضْلِ، وَسَخِرَ مِنْهُ أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَقَدْ عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ عَظِيمِ مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي اللهِ، وَسَخِرَ الْمُشْرِكُونَ بِمَا قَالُوهُ، فَإِنْ قَالَ: أَكَانَ التَّنْزِيلُ

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٤/ ١٣).

بِإِحْدَاهُمَا أَوْ بِكِلْتَيْهِمَا؟ قِيلَ: التَّنْزِيلُ بِكِلْتَيْهِمَا، فَإِنْ قَالَ: وَكَيْفَ يَكُونُ تَنْزِيلُ حَرْفٍ مَرَّتَيْنِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ مَرَّتَيْنِ، إِنَّمَا أُنْزِلَ مَرَّةً، وَلَكِنَّهُ أَمَرَ ﷺ أَنْ يَقْرَأَ بِالْقِرَاءَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا). اهـ[1].

قال شَيْخُنَا عَبدُ العزيزِ بنُ عَبدِ اللهِ الرَّاجحي حَفِظَهُ اللهُ:

(بِضَمِّ التَّاءِ مِنْ ﴿عَجِبْتَ﴾، وهيَ دليلٌ عَلى صِفَةِ العَجَبِ للهِ ﷻ).

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللهُ**» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: لاَمْرَأَتِهِ ضَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا قَالَتْ وَاللهِ مَا عِنْدِي إِلاَّ قُوتُ الصِّبْيَةِ ، قَالَ فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ فَفَعَلَتْ ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَقَدْ عَجِبَ اللهُ ﷻ، أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[2].

2-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**»[3].

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٩/ ٥١٤) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ - دار هجر. والقراءة بالضم لحمزة وخلف والكسائي فهي قراءةٌ سبعيةٌ متواترةٌ. راجع «الميسر في القراءات الأربعة عشر» لمحمد فهد خاروف(ص: ٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي- باب قَوْلِهِ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيَةَ) (رقم: ٤٨٨٩)، ومسلم باب (إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ) (رقم: ٥٤٨٠). واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري باب (الأسارىٰ في السلاسل) (رقم: ٣٠١٠)، وأبو داود (بابٌ فِي الأَسِيرِ يُوثَقُ) (رقم:٢٦٧٩).

تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ:

عَجَبُ الله ﷻ لَيْسَ كَعَجَبِ المَخْلوقِ، فَقَدْ يَعْجَبُ المَخْلُوقُ لوقُوعِ شَيءٍ لا عِلْمَ لَهُ مُسْبَقًا بِهِ، ولا يُمْكِنُ أنْ يَقَعَ مِنَ اللهِ هَذَا؛ لأنَّ عِلْمَهُ أزَلِيٌّ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ ولا تَخْفَى عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَافِيَةٌ.

قَالَ شَيخُ الإِسْلام ابنُ تَيمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَصْلٌ:وَأَمَّا قَوْلُهُ: «التَّعَجُّبُ اسْتِعْظَامٌ لِلْمُتَعَجَّبِ مِنْهُ». فَيُقَالُ: نَعَمْ. وَقَدْ يَكُونُ مَقْرُونًا بِجَهْلٍ بِسَبَبِ التَّعَجُّبِ وَقَدْ يَكُونُ لِمَا خَرَجَ عَنْ نَظَائِرِهِ وَاَللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَعْلَمَ سَبَبَ مَا تَعَجَّبَ مِنْهُ؛ بَلْ يَتَعَجَّبُ لِخُرُوجِهِ عَنْ نَظَائِرِهِ تَعْظِيمًا لَهُ. وَاَللَّهُ تَعَالَى يُعَظِّمُ مَا هُوَ عَظِيمٌ؛ إمَّا لِعِظَمَةِ سَبَبِهِ أَوْ لِعِظَمَتِهِ. فَإِنَّهُ وَصَفَ بَعْضَ الْخَيْرِ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ. وَوَصَفَ بَعْضَ الشَّرِّ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ الضَّمِّ فَهُنَا هُوَ عَجَبٌ مِنْ كُفْرِهِمْ مَعَ وُضُوحِ الْأَدِلَّةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي آثَرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ ضَيْفَهُمَا: «**لَقَدْ عَجِبَ اللهُ**». وَفِي لَفْظٍ فِي الصَّحِيحِ: «**لَقَدْ ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ مِنْ صُنْعِكُمَا الْبَارِحَةَ**». وَقَالَ: «**إنَّ الرَّبَّ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إذَا قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ. يَقُولُ عَلِمَ عَبْدِي أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنَا**» وَقَالَ: «**عَجِبَ رَبُّك مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**»(١)

---

(١)قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٥٢٩):ط – الثالثة دار الإمام الشافعي

وَقَالَ: «عَجِبَ رَبُّك مِنْ رَاعِي غَنَم عَلَى رَأْسِ شَظِيَّةٍ يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ فَيَقُولُ اللهُ انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي» أَوْ كَمَا قَالَ. وَنَحْوَ ذَلِكَ)[1].

وَقَالَ العَلاَّمَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيمِينُ رَحِمَهُ اللهُ:

(العَجَبُ نَوْعَانِ:

١ - عَجَبُ اسْتِحْسَانٍ، كَمَا فِي البُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ ل: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُوْرِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ».

٢- عَجَبُ إِنْكَارٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصَّافات:١٢])[2].

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ خَلِيل هَرَّاس رَحِمَهُ اللهُ:

(وَلَيْسَ عَجَبُهُ سُبْحَانَهُ نَاشِئًا عَنْ خَفَاءٍ فِي الْأَسْبَابِ أَوْ جَهْلٍ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ؛ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي عَجَبِ الْمَخْلُوقِينَ؛ بَلْ هُوَ مَعْنًى يَحْدُثُ لَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مُقْتَضَى مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِنْدَ وُجُودِ مُقْتَضِيهِ، وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُتَعَجَّبَ مِنْهُ.

وَهَذَا العَجَب الَّذِي وَصَفَ بِهِ الرسولُ ربَّه هُنَّا مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، وَهُوَ مِنْ كَمَالِهِ تَعَالَى، فَإِذَا تأَخَّرَ الْغَيْثُ عَنِ الْعِبَادِ مَعَ فَقْرِهِمْ وشدَّةِ حَاجَتِهِمْ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ، وَصَارَ نَظَرُهُمْ قَاصِرًا عَلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، وَحَسِبُوا أَنْ لا يَكُونَ وَرَاءَهَا فرجٌ مِنَ الْقَرِيبِ الْمُجِيبِ؛ فَيَعْجَبُ اللهُ مِنْهُمْ.

=

الرياض : (ليست له صبوة) أي ميل إلىٰ الهوىٰ لحسن اعتياده للخير وقوة عزيمته في البعد عن الشر في حال الشباب الذي هو مَظِنَّةٌ لضدِّ ذلك.

تنبيه :

المناوي غفر الله له جرىٰ علىٰ طريقة الأشاعرة في التأويل فليتنبه لذلك. وانظر تأويله لهذه الصفة في نفس تفسيره لصفة العجب في هذا الحديث؛ وكذا في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٢٣٤).

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ١٢٣، ١٢٤).

(٢) «القول المفيد» (٢/ ١٥٢، ١٥٣) - الطبعة الثانية - دار ابن الجوزي.

وَهَذَا محلٌّ عجيبٌ حَقًّا؛ إِذْ كَيْفَ يَقْنَطُونَ وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كلَّ شَيْءٍ، وَالْأَسْبَابُ لِحُصُولِهَا قَدْ توفَّرتْ؟! فَإِنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ وَضَرُورَتَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَتِهِ، وَكَذَا الدُّعَاءُ بِحُصُولِ الْغَيْثِ وَالرَّجَاءِ فِي اللهِ مِنْ أَسْبَابِهَا، وَقَدْ جَرَتْ عَادَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ الْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ، وَأَنَّ الشِّدَّةَ لَا تَدُومُ، فَإِذَا انضمَّ إِلَى ذَلِكَ قُوَّةُ الْتِجَاءٍ وَطَمَعٍ فِي فَضْلِ اللهِ، وَتَضَرُّعٌ إِلَيْهِ ودعاءٌ؛ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ)[1].

وَقَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ آل الشَّيخ حفظَهُ اللهُ:

(«عَجِبَ رَبُّنَا» (عَجِبَ) هذا فعل ماضٍ وَفِيهَا إِثْبَاتُ صِفَةِ العَجَبِ لأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى المَصْدَرِ.

وصفةُ العَجَبِ للهِ جَلَّ وعَلا على مَا يَليقُ بِجَلالِهِ وعَظَمَتِه.

وقَدْ جَاءَتْ هَذِه الصِّفَةُ فِي عِدَةِ أَحَادِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي قَوْلِهِ (عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ) الحَديثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ وفي إِسْنَادِه بَعْضُ الكَلام.

وفي سُورَةِ الصَّافَاتِ قَالَ اللهُ جَلَّ وعَلا لِنَبِيِّهِ: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ فِيهَا إِثْباتُ صِفَةِ العَجَبِ للهِ جَلَّ وعَلَا على قِراءَةِ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ فإنَّ فِيها ضَمُّ التَّاءِ مِنْ (عَجِبتُ)... إِذَنْ صِفَةُ العَجَبِ للهِ ﷻ دَلَّ عَلَيهَا القُرآنُ والسُّنَّة في نُصُوصٍ مُتَعَدِّدَةٌ والعَجَبُ يَكُونُ مِنْ أَحَدِ شَيْئَينِ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ العَجَبُ والتَّعَجُبُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ تَوقُّعِ حُصُولِ الشَّيءِ والجَهْلِ بِحُصُولِهِ ثُمَّ حَصَلَ عَلى نَحوٍ مَا فيُتَعَجَّبُ مِنْه لأَنَّه لَمْ يَكُنْ يُتَوقَّعُ أو لم يَكُنْ يُظَنُّ أَنْ يَحْصُلَ كَذَا وكَذَا هَذَا المَعْنَى الأولُ للعَجَبِ في اللُّغَةِ أو في اسْتِعمَالِهَا.

وَالثَّاني: أَنَّ العَجَبَ يَكُونُ إذا حَصَلَ شَيءٌ لأَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ ويَكُونُ بِالنِّسْبَةِ لَه

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» - الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - دار الهجرة.

- بالنِّسْبَةِ للمَخْلوقِ - فيه عَدَمُ عِلْمِهِ بالعَاقِبَةِ وعَدَمُ نَظَرِه في حَالِ نَفْسِهِ، فَيَكُونُ يُتَعَجَّبُ مِنْه لأجْلِ حَالِه.

فإذَنْ المَعْنَى الأولُ رَاجِعٌ إلى جَهْلِ المُتَعَجِّبِ، والمَعْنَى الثَّاني رَاجِعٌ إلى حَالِ المُتَعَجَّبِ مِنْهُ.

والمَعْنى الأولُ لِمَا كَانَ فِيه الجَهْلُ وفيه عَدَمُ العِلْمِ صَارَ مَنْفِيـًا عَن اللهِ جَلَّ وعَلا والمُثبَتُ للهِ جَلَّ وعَلا المَعْنَى الثَّاني وهَذَا مِنْ جِهَةِ التَّقرِيبِ كَمَا ذَكَرْتُ لَكُمْ وليْسَ مِنْ جِهَةِ الحَدِّ.

يَعْنِي أنَّ مَورِدَ العَجَبِ هو (عَجَبُ رَبِّنَا) هُوَ أنَّهُ حَصَلَ مِنَ المَخْلوقِ ما يُتَعَجَّبُ مِنْه مِمَّا يَدُلُّ على جَهْلِهِ بالعَاقِبَةِ أو عَدَمِ عِلْمِه بِحَالِ نَفْسِهِ أو بِتَقَلُّبَاتِه إلى آخِرِهِ.

المَقْصُودُ أنْ يُثبَتَ للهِ جَلَّ وَعَلا العَجَبُ عَلى جِهَةِ الكَمَالِ، أمَّا العَجَبُ الذي فِيه الجَهْلُ وَمُؤَدَّاهُ الجَهْلُ وعَدَمُ العِلْمِ والشَّكُّ ونَحْوُ ذَلِكَ أو التَّفَاجُؤ بالأَمرِ والانْصِدَامُ بِهِ والانْذِهَالُ بالشَّيءِ، هَذَا كُلُّهُ يُنَزَّهُ عَنْهُ اللهُ جَلَّ وعَلا لأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا حَصَلَ وَمَا سَيَحْصُلُ ولَيْسَ شَيءٌ عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلا جَدِيداً ولا غَرِيبـًا ولا هو جَلَّ وَعَلا سَبَقَ عِلْمَهُ جَهْلٌ أو نِسْيَانٌ فَيَتَعَجَبُ لأجْلِ نِسْيَانِه أو عَدَمِ عِلْمِه بَلْ هو جَلَّ وَعَلا الكَامِلُ في صِفَاتِهِ.

وإنَّمَا يَكُونُ التَّعَجُّبُ لِحَالِ المُتَعَجَّبِ مِنْهُ يَعْني فَعَلَ فِعْلًا غَرِيبـًا بالنِّسبَةِ إلى نُظَرائِه أو عَجِيبـًا بالنِّسْبَةِ إلى نُظَرائِهِ فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلى أنَّ المُتَعَجَّبَ مِنْه لا يَعْلَمُ العَاقِبَةَ؛ لا يَعْلَمُ الحَالَ عَلى جَهْلِهِ عَلى عَدَمِ النَّظَرِ في حَالِهِ وَقتَ عَمَلِ شَيءٍ مِنْ الأعْمَالِ.

إذَنْ فَقَولُه (عَجِبَ رَبُّنَا) يُثبتُ العَجَبَ عَلى الوَجْهِ اللائِقِ باللهِ وهو العَجَبُ بِحَقٍّ أوِ العَجَبُ الكامِلُ للهِ جَلَّ وعَلا الذي لَيْسَ فيه نَقْصٌ ولا يُؤدِّي إلى نَقْصٍ

بِوجْهٍ مِنْ الوجُوهِ وهُو إثْبَاتُ مِثلِ الصِّفَاتِ الأُخَرِ لَكِنَّ اضْطَرَّنَا إلى التَّفْسِيرِ مَا سَيَأتي مِنْ ضَرُورَةِ الرَّدِ عَلَى مَنْ أَوَّلَ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

قال (يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ) أيْضًا فِيه إثْبَاتُ صِفَةِ الضِّحِكِ عَلى مَا ذَكَرْنَا.

إذا تَقَرَرَ ذَلِكَ فَالعَجَبُ للهِ جَلَّ وعَلا ثَابِتٌ وَهو دَلِيلٌ عَلى كَمَالِهِ وعِزَّتِهِ وقَهْرِهِ لِخَلْقِه وأنَّ خَلْقَهُ ضِعَافٌ فُقَراءٌ إليْهِ جَلَّ وعَلا لا يَعْلَمُونَ ما يَسْتَقْبِلُونَ ولا يَعْلَمُونَ أحْوَالَهُم؛ بَلْ أحَوَالُهُمْ عَلى التَّردُّدِ وعَدَمِ فَهْمِهِمْ لأحوَالِهِمْ كَمَا يَنْبَغِي واللهُ جَلَّ وعَلا هو العَالِمُ بِمَا سَيَكُونُ ومَا يَكُونُ ﷻ فَيَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِ عِبَادِهِ.

إذن فالعَجَبُ إثباتُ صِفَةِ كَمَالٍ للهِ جَلَّ جَلالُه.

أمَّا النُّفَاةُ فَنَفَوا هَذِهِ الصِّفَةَ عَلى مَا ذَكَرْنَا في نَظَائِرِهَا فِيمَا سَبَقَ وقَالوا: العَجَبُ يُطلَقُ ويُرادُ بِه المَخْلُوقُ المُنْفَصِلُ مِثْلُ مَا ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ يَعْنِي مَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ.

فـ (عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ) هنا (عَجِبَ) يَعْنِي أنَّه نَظَرَ إلى مَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ الخَلْقُ وإلا فاللهُ جَلَّ وعَلا لا يَتَعَجَبُ عِنْدَهُمْ.

فالشَّيءُ الَّذي وَقَعَ يُتَعَجَّبُ مِنْه يَتَعَجَّبُ مِنْهُ الخَلقُ لَو اطَّلَعوا على ذَلِكَ؛ لَو عَرَفُوا ذَلِكَ يَتَعَجَبُوا واللهُ جَلَّ وَعَلا أضَافَ الفِعْلَ هُنَا إلى نَفْسِه عِنْدَهُمْ لأنَّهُ حَصَلَ شَيءٌ يَتَعجَبُونَ مِنْهُ.

ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ - وَهُمْ الأَشاعِرَةُ -: إنَّ صِفَةَ العَجَبِ للهِ جَلَّ وعَلا: إظْهَارُ غَرابَةِ مَا مِنْ شَأنِه أنْ يُتَعَجَّبَ.

فالمُعتزِلَةُ عِنْدَهُمْ أنَّ العَجَبَ مُنْفصِلٌ.

والأشَاعِرَةُ عِنْدَهُمْ أنَّه إظهَارٌ لِما يُتَعَجَّبُ مِنْه إمَّا بالقَولِ.. أو بالإشَادَةِ بِه أو بِتَعْجِيبِ الخَلْقِ مِنْه وإمَّا بالفِعْلِ بأنْ يُفْعَلَ بَهِمْ فِعْلُ مَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ.

وهَذَا لا شَكَّ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ بَاطِلٌ لأنَّ فِيه نَفيٌ لِصِفَةِ اللهِ جَلَّ وعَلا.

والذي قَادَهُمْ إلى ذَلِكَ أنَّ العَجَبَ فِيه نَوعُ نَقْصٍ لأنَّهُم قَالوا إنَّ العَجَبَ لا يَكُونُ إلا مِمَّنْ لا يَعْرِفُ الحَقِيقَةَ ولا يَعْرِفُ المُسْتَقْبَلَ ولا يَعْرِفُ أنَّ هَذا سَيَحْصُلُ، والجَوابُ الذي أسْلَفْنَا ذِكْرَهُ هُوَ أنَّ العَجَبَ يَنْقَسِمُ إلى مَا يَكُونُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ العِلْمِ ومَا يَكُونُ مِن جِهَةِ المُتَعجِّبِ مِنْهُ وهُمْ أوَّلوا ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ المُتعجَّبِ مِنْهُ.

فَإذَنْ يُثْبِتُونَ العَجَبَ للهِ جَلَّ وَعَلَا وَيَكُونُ عَجَبُهُ لِأَجْلِ حَالِ المُتَعَجَّبِ مِنْهُ وَلَيْسَ مُؤَوَّلاً بِأَنَّ عَجَبَ اللهِ جَلَّ وَعَلا هُوَ حَالُ المُتعجَّبِ مِنْه وإنَّمَا عَجَبُه لأجْلِ حَالِه.

وفَرْقٌ بَيْنَ أنْ يَكُونَ مُتَعجِّبًا لأن يَكُونَ هو المُتعجِّبُ مِنْ أجْلِ الحَالِ أو أنْ يَكُونَ عَجَبُهُ جَلَّ وعَلا هُو الحَالُ نَفْسُه أَوْ يُؤَوَّلُ بِمَا ذَكَرْتُ مِنَ التَّأويلاتِ الَّتي ذَكَرُوهَا.

المَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ أنَّ هَذِه الصِّفَاتِ يَنْفِيهَا المُبْتَدِعَةُ، وأهْلُ السُّنَّةِ يُثبتونَها جَميعًا ومَا ذَكَرُوهُ مِنْ التَّأويلاتِ كُلُّ ذَلِكَ بَاطِلٌ والحَمْدُ للهِ جَلَّ وعَلا عَلى ظُهُورِ المَحَجَّةِ وضَعْفِ ما أورَدُوهُ فيمَا أَوَّلُوا بِهِ تِلكَ الصِّفَاتِ). اهـ[1].

*****

الخَطَأُ العَاشِرُ:

تَفْويضُ مَعْنَى الاسْتِواءِ:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْه (قَوْلُهُ ﷺ: «أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَفِيهَا مَذْهَبَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا مَرَّاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ. أَحَدُهُمَا: الْإِيمَانُ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَوْضٍ فِي مَعْنَاهُ، مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ

(١) «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية». (١/ ٤٥-٤٩) - الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ - دار العاصمة.

تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَالثَّانِي تَأْوِيلُهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ، فَمَنْ قَالَ بِهَذَا قَالَ: كَانَ الْمُرَادُ اِمْتِحَانَهَا، هَلْ هِيَ مُوَحِّدَةٌ تُقِرُّ بِأَنَّ الْخَالِقَ الْمُدَبِّرَ الْفَعَّالَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اِسْتَقْبَلَ السَّمَاءَ كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي اِسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ؟ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي السَّمَاءِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِرًا فِي جِهَةِ الْكَعْبَةِ، بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدَّاعِينَ[1]، كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةُ

---

(١) قوله: بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّمَاء قِبْلَة الدَّاعِينَ. قال فضيلة شيخنا عبد العزيز بن عبد الله الراجحي سلمه الله في: شرح العقيدة الطحاوية : اعترض نفاة العلو علىٰ هذا الدليل باعتراضين.

الاعتراض الأول: قالوا: إن رفع الإنسان يديه عند الدعاء إنما كان لكون السماء قبلة للدعاء كما أن الكعبة قبلة للصلاة، لا لأن الله في العلو، وأجيب عنه بأجوبة، الجواب الأول أن ادعاءكم أن السماء قبلة للدعاء، لم يرد بذلك كتاب ولا سنة، ولم يقله أحد من سلف الأمة، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفىٰ علىٰ سلف الأمة وعلمائها.

ثانيا: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة بدليل أن النبي ﷺ كان يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة فمن ادعىٰ أن للدعاء قبلة فمن ادعىٰ أن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة فهو مبتدع في الدين ومخالف لجماعة المسلمين.

ثالثها: أن القبلة هي ما يستقبلها العابد بوجهه كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، أما الموضع الذي ترفع الأيدي إليه فلا يسمىٰ قبلة لا حقيقة ولا مجازا.

رابعها: لو كانت السماء قبلة للدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع.

خامسا: أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من بيت المقدس إلىٰ الكعبة، وأمر التوحيد في الدعاء إلىٰ الجهة العلوية مركوز في الفطر، لا يقبل التحويل.

سادسها: أن المستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالىٰ ليس هناك بخلاف الداعي فإنه يتوجه إلىٰ ربه وخالقه ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله في شرح العقيدة الطحاوية: كلمة عند المتكلمين وطائفة من نُفَاة العلو وهي أنهم يقولون: إنَّ السّماء قبلة الدعاء.

إذا قال لهم قائل: فطرة الإنسان أَنَّهُ إذا أراد أن يدعو اتَّجَهَ إلىٰ السماء. قالوا: هذا لأنَّ السماء قبلة الدعاء.

وهذه الكلمة ربما ردَّدَها بعض المنتسبين إلىٰ السنة قالوا: إنَّ السماء قبلة الدعاء.

وهذا باطل، الكلمة هذه باطلة، فالسماء ليست قبلة الدعاء، فأعظم الدعاء الصلاة، والصلاة سُمِّيَتْ صلاةً لما فيها من دعاء العبادة ودعاء المسألة، ومع ذلك جُعِلَت قبلة الصلاة إلىٰ بيت الله ﷻ الحرام، فقبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، وهي قبلة الميّت التي يُوَجَّهُ إليها عند احتضاره و يُوَجَّهُ إليها عند دفنه، وهي مكة أو الكعبة التي شرّفها الله ﷻ.

=

الْمُصَلِّينَ، أَوْ هِيَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَلَمَّا قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَةٌ وَلَيْسَتْ عَابِدَةً لِلْأَوْثَانِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً فَقِيهِهِمْ وَمُحَدِّثِهِمْ وَمُتَكَلِّمِهِمْ وَنُظَّارِهِمْ وَمُقَلِّدِهِمْ أَنَّ الظَّوَاهِرَ الْوَارِدَةَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ وَنَحْوِهِ لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا، بَلْ مُتَأَوَّلَةٌ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ، فَمَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ جِهَةِ فَوْقٍ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَكْيِيفٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ تَأَوَّلَ: «فِي السَّمَاءِ» أَيْ: عَلَى السَّمَاءِ، وَمَنْ قَالَ مِنْ دَهْمَاءِ النُّظَّارِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْحَابِ التَّنْزِيهِ بِنَفْيِ الْحَدِّ وَاسْتِحَالَةِ الْجِهَةِ فِي حَقِّهِ ﷻ تَأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَاتٍ بِحَسَبِ مُقْتَضَاهَا، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ. قَالَ: وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي جَمَعَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَقَّ كُلِّهِمْ عَلَى وُجُوبِ الْإِمْسَاكِ عَنِ الْفِكْرِ فِي الذَّاتِ كَمَا أُمِرُوا، وَسَكَتُوا لِحِيرَةِ الْعَقْلِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْكِيلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وُقُوفِهِمْ وَإِمْسَاكِهِمْ غَيْرَ شَاكٍّ فِي الْوُجُودِ وَالْمَوْجُودِ، وَغَيْرَ قَادِحٍ فِي التَّوْحِيدِ، بَلْ هُوَ حَقِيقَتُهُ، ثُمَّ تَسَامَحَ بَعْضُهُمْ بِإِثْبَاتِ الْجِهَةِ خَاشِيًا مِنْ مِثْلِ هَذَا التَّسَامُحِ، وَهَلْ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَإِثْبَاتِ الْجِهَاتِ فَرْقٌ؟ لَكِنْ إِطْلَاقُ مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ مِنْ أَنَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، مَعَ التَّمَسُّكِ بِالْآيَةِ الْجَامِعَةِ لِلتَّنْزِيهِ الْكُلِّيِّ

=

فإذاً لا يصح قول من يقول: إنَّ السماء قبلة الدعاء، بل المشروع للدَّاعِي أَنَّهُ إذا أراد أن يدعو أن يتوجه إلىٰ القبلة، هذا أكمل حالات الدعاء، إذا دعا يتوجه إلىٰ القبلة، ثُمَّ إذا رفع يديه فإنه يرفعها ويتجه ببصره وقلبه إلىٰ القبلة، يتجه بوجهه وببصره إلىٰ القبلة، قد يرفع وجهه إلىٰ السماء، مثل ما حصل فالنّبي ﷺ في بدر رفع يديه شديداً حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له أبو بكر يا رسول الله مهلاً بعض مناشدتك ربك فإنه منجزٌ لك ما وعدك. مسلم (رقم: ٤٦٨٧)/ الترمذي (رقم: ٣٠٨١).

ورَفْعُ وَجْهِهِ هذا لأجل الإلحاح في طلب الفرج من الله ﷻ، وليس لأجل أنَّ السّماء قبلة لأنَّ أكثر دعاء النبي ﷺ لا يرفع فيه وجهه إلىٰ السماء؛ بل في الصلاة وهي دعاء نهىٰ فيها نبينا ﷺ عن رفع البصر إلىٰ السماء.

الَّذِي لَا يَصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ عِصْمَة لِمَنْ وَفَّقَهُ الله تَعَالَى، وَهَذَا كَلَامُ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى)[1].

التَّعْلِيقُ:

الاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ: صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

1- قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥].

2- وَقَولُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54، يونس: 3، الرعد:2 ، الفرقان:59 ، السجدة:4 ، الحديد: 4].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّة:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **أَخَذَ بِيَدِي قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ السَّابِعِ، وَخَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَالْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَالتِّقْنَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَالنُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَالدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَآدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَخَلَقَ أَدِيمَ الْأَرْضِ أَحْمَرَهَا وَأَسْوَدَهَا، وَطَيِّبَهَا وَخَبِيثَهَا، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَعَلَ اللهُ ﷻ مِنْ آدَمَ الطَّيِّبَ وَالْخَبِيثَ»**[2].

2- وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ»**[3].

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٥/ ٢٤، ٢٥).

(٢) أخرجه النَّسائي في «الكبرىٰ» في تفسير سورة السجدة (رقم: ١١٣٢٨)، والذَّهبي في «مختصر العُلُوِّ للعليِّ الغفَّار» (ص: ٧٥) الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - المكتب الإسلامي - بيروت. وجوَّد إسناده العلَّامة الألباني في«تحقيقه لمختصر العلو».

(٣) أخرجه الذَّهبي في «مختصر العُلُوِّ للعليِّ الغفَّار» (ص: ٧٥). وقال: رواته ثقات، وسكت عليه العلَّامة الألباني في «تحقيقه لمختصر العلو».

وَمَعْنَى الاسْتِوَاءِ: العُلُوُّ، والارْتِفَاعُ، والاسْتِقْرَارُ، والصُّعُودُ، كَمَا ذَكَرَ العَلاَّمَةَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «نُونِيَّتِهِ»:

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ للفَارِسِ الطَّعَّانِ

وَهِيَ اسْتَقَرَّ وقَدْ عَلا وكَذَلِكَ ار ... تَفَعَ الَّذي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

وكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذي هُوَ رَابِعٌ ... وأبو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي

يَخْتَارُ هَذَا القَوْلَ في تَفْسِيرِه ... أدْرَى مِنَ الجَهْمِيِّ بالقُرآنِ

*****

الخَطَأُ الحَادِي عَشَرَ:

تَأْوِيلُهُ صِفَةَ الْحَيَاءِ وَالاسْتِحْيَاءِ بِعَدَمِ الامْتِنَاعِ مِنْ بَيَانِ الْحَقِّ.

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ: (قَوْلُهَا: «إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ». قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ بَيَانِ الْحَقِّ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِالْبَعُوضَةِ وَشَبَهِهَا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾ فَكَذَا أَنَا لَا أَمْتَنِعُ مِنْ سُؤَالِي عَمَّا أَنَا مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْحَيَاءِ فِي الْحَقِّ وَلَا يُبِيحُهُ، وَإِنَّمَا قَالَتْ هَذَا اعْتِذَارًا بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِهَا عَمَّا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ:مِمَّا تَسْتَحْيِي النِّسَاءُ – فِي الْعَادَةِ – مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُ، وَذِكْرِهِ بِحَضْرَةِ الرِّجَالِ، فَفِيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَضَتْ لَهُ مَسْأَلَةٌ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهَا، وَلَا يَمْتَنِعَ مِنَ السُّؤَالِ حَيَاءً مِنْ ذِكْرِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِحَيَاءٍ حَقِيقِيٍّ لِأَنَّ الْحَيَاءَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَالْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَنِ السُّؤَالِ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَيْسَ بِخَيْرٍ، بَلْ هُوَ شَرٌّ. فَكَيْفَ يَكُونُ حَيَاءً، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِيضَاحُ هَذِهِ

الْمَسْأَلَةِ فِي أَوَائِلِ كِتَابِ الْإِيمَانِ)[1].

وَقَالَ: (قَوْلُهُ ﷺ «**وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحَى فَاسْتَحَى اللهُ مِنْهُ**»: أَيْ تَرَكَ الْمُزَاحَمَةَ وَالتَّخَطِّيَ حَيَاءً مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَمِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْحَاضِرِينَ، أَوِ اسْتِحْيَاءً مِنْهُمْ أَنْ يُعْرِضَ ذَاهِبًا كَمَا فَعَلَ الثَّالِثُ، فَاسْتَحَى اللهُ مِنْهُ أَيْ رَحِمَهُ وَلَمْ يُعَذِّبْهُ، بَلْ غَفَرَ ذُنُوبَهُ، وَقِيلَ: جَازَاهُ بِالثَّوَابِ. قَالُوا: وَلَمْ يُلْحِقْهُ بِدَرَجَةِ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ فِي الْفَضِيلَةِ الَّذِي آوَاهُ وَبَسَطَ لَهُ اللُّطْفَ وَقَرَّبَهُ. وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ أَيْ لَمْ يَرْحَمْهُ، وَقِيلَ: سَخِطَ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ ذَهَبَ مُعْرِضًا لَا لِعُذْرٍ وَضَرُورَةٍ)[2].

التَّعْلِيقُ:

الْحَيَاءُ وَالاسْتِحْيَاءُ صِفَةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَ«الحَيِيُّ» مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

1- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا**﴾ [البقرة:٢٦].

2- وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ**﴾ [الأحزاب: 53].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

1- عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ:بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا**

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ٢٢٤).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٤/ ١٥٩).

أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ» (١).

2- عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» (٢).

قَالَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ خَلِيل هرَّاس رَحِمَهُ اللهُ:

(وحَيَاؤُهُ تَعَالَى وَصْفٌ يَلِيقُ به، لَيْسَ كَحَيَاءِ المَخْلُوقِينَ، الَّذي هُوَ تَغَيُّرٌ وانْكِسَارٌ يَعْتَرِي الشَّخْصَ عِنْدَ خَوفِ مَا يُعَابُ أو يُذَمُّ، بل هُوَ تَرْكُ مَا لَيْسَ يَتَناسَبُ مَعَ سِعَةِ رَحْمَتِهِ وكَمَالِ جُودهِ وكَرَمِهِ وعَظِيمِ عَفْوِهِ وحِلْمِهِ؛ فالعَبْدُ يُجَاهِرُهُ بالمَعْصِيَةِ مَعَ أَنَّه أفْقَرُ شَيءٍ إليْهِ وأضْعَفُهُ لدَيْهِ، ويَسْتَعِينُ بنِعَمِهِ على مَعْصِيَتِه، ولكِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ وتَمَام قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ يَسْتَحِي مِنْ هَتْكِ سَتْرِهِ وفَضِيحَتِهِ، فَيَسْتُرُهُ بِمَا يُهَيِّؤُهُ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ السَّترِ، ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ يَعفُو عَنْهُ ويَغْفِرُ).اهـ (٣).

*****

الخَطَأُ الثَّانِي عَشَرَ:

تَأَوِيلُ الدُنُوِّ بِدُنُوِّ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ، أَوْ دُنُوِّ مَلَائِكَتِهِ:

قَالَ غفَرَ اللهُ لَهُ (قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: قَالَ الْمَازِرِيُّ: مَعْنَى «يَدْنُو» فِي هَذَا

---

(١) أخرجه البخاري بَاب (الْحِلَقِ وَالْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ) (رقم: ٤٥٤) ، ومسلم بَاب (مَنْ أَتَىٰ مَجْلِسًا فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا وَإِلَّا وَرَاءَهُمْ) (رقم: ٤٠٤٢) ، وغيرهما.

(٢)أخرجه أبو داود بَابُ (الدُّعَاءِ) (رقم: ١٢٧٣)، والحاكم في «المستدرك» كِتَابُ (الدُّعَاءِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ) (رقم: ١٨٣١)، وقال: وَلَهُ شَاهِدٌ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وصحَّحه العلَّامة الألباني في «صحيح أبي داود» (رقم: ١٣٣٧).

(٣) «شرح القصيدة النونية» (٢/ ٨٢).

الْحَدِيثِ: أَيْ تَدْنُو رَحْمَتُهُ وَكَرَامَتُهُ، لَا دُنُوَّ مَسَافَةٍ وَمُمَاسَّةٍ. قَالَ الْقَاضِي: يُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا سَبَقَ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ مِنْ غَيْظِ الشَّيْطَانِ يَوْمَ عَرَفَةَ لِمَا يَرَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ يُرِيدُ دُنُوَّ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَرْضِ أَوْ إِلَى السَّمَاءِ بِمَا يَنْزِلُ مَعَهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَمُبَاهَاةِ الْمَلَائِكَةِ بِهِمْ عَنْ أَمْرِهِ ﷻ، قَالَ: وَقَدْ وَقَعَ الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مُخْتَصَرًا، وَذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي جَاؤُنِي (١) شُعْثًا غُبْرًا يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي وَلَمْ يَرَوْنِي، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ (٢).

التَّعْلِيقُ:

الدُّنوُّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ الفِعْلِيَّةِ الاخْتِيَارِيَّةِ الثَّابِتَةِ بِالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

١- قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ**» (٣).

٢- عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ... حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى... (٤).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَأَمَّا دُنُوُّهُ نَفْسُهُ وَتَقَرُّبُهُ مِنْ بَعْضِ عِبَادِهِ؛ فَهَذَا يُثْبِتُهُ مَنْ يُثْبِتُ قِيَامَ الْأَفْعَالِ

---

(١) في مصنف «عبد الرزاق» (٥/ ١٦) (رقم ٨٨٣٠) : (جاؤوا)

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٩/ ١١٧).

(٣) أخرجه مسلم بَاب (فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ) (رقم:٢٤٠٢).

(٤) أخرجه البخاري بَاب (قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾) (رقم: ٦٩٦٣).

الإِخْتِيَارِيَّةِ بِنَفْسِهِ وَمَجِيئَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنُزُولَهُ وَاسْتِوَائَهُ عَلَى الْعَرْشِ. وَهَذَا مَذْهَبُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الإِسْلَامِ الْمَشْهُورِينَ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالنَّقْلُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ)[1].

قَالَ العَلاَّمَةُ الأَلبَانِيُ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَقَعَ في «التَّرغِيبِ» أيضًا بِلفظِ: «لَيَدْنُو يَتَجَلَّى» بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ: «يَتَجَلَّى». وَكَذَلِكَ وَقَعَ فِيمَا سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّبْعَاتِ والنُّسَخِ، وَهِيَ زِيَادَةٌ مُنْكَرَةٌ لا أصلَ لَهَا أيضًا في شَيءٍ مِنْ طُرُقِ الحَدِيثِ ورواياتِه، ولا أدرِي إذا مَرَّ عَلَيْه النَّاجي فلم يُعَلِّق عَلَيْه بشَيءٍ، أو أَنَّهَا لم تَقَع في نُسخَتِه من «التَّرغِيبِ»، غَالِبُ الظَّنِّ الأَوَّلُ، وليْسَ كِتَابُه في مُتنَاولِ يَدَيَّ الآنَ، لتَرجِيحِ أَحَدِ الاحتِمَالَين. وهذا الخَطَأُ عِنْدي أَسْوَأُ مِنَ الَّذِي قَبْلَه لأَنَّه مُغَيِّرٌ لِمَعْنَى الحَدِيثِ، لأَنَّه تَفْسِيرٌ للدُّنوِّ بالتَّجَلِّي، وهَذَا إِنَّمَا يَجْرِي عَلى قَاعِدَةِ الخَلَفِ وعُلمَاءِ الكَلامِ في تَأويلِ أحادِيثِ الصِّفاتِ، خِلافًا لطَرِيقَةِ السَّلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، كَمَا خَالَفوهُم في تَأويلِ أَحَادِيثِ نُزولِ اللهِ تَعَالَى إلى السَّمَاءِ الدُّنيا بأَنَّ المَعنَى نُزولُ رَحْمَتِهِ. وَهَذَا كُلُّه مُخَالفٌ لمَا كَانَ عَلَيْه السَّلَفُ من تَفْسِيرِ النُّصوصِ على ظَاهِرِهَا دونَ تأويلٍ أو تَشْبِيهٍ كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فَنزُولُه نُزُولٌ حَقِيقيٌّ يَليقُ بِجَلالِه لا يُشبِهُ نُزولَ المَخْلوقِينَ، وكَذَلِكَ دُنُوُّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُنُوٌّ حَقِيقيٌّ يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ، وخَاصٌّ بعبَادِهِ المُتَقَربينَ إليْه بِطَاعَتِه، ووقُوفُهُمْ بعَرَفَةَ تَلْبيةً لِدَعْوتِه عَزَّ وَجَلَّ. فَهَذا هو مَذْهَبُ السَّلَفِ في النُّزولِ والدُّنُوِّ، فَكُنْ عَلى عِلمٍ بِذَلِكَ حَتَى لا تَنْحَرِفَ مَعْ المُنْحَرِفِين عَنْ مَذْهَبِهُم. وتَجِدَ تَفصِيلَ هَذا الإجمَالِ وتَحقِيقَ القَولِ فيه في

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٤٦٦).

كُتُبِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيْميَةَ،وبِخَاصةٍ مِنْها «مَجْمُوعُ الفَتَاوى»، فَرَاجِع مثلا (ج ٥ / ٤٦٤ - ٤٧٨). وقَدْ أورَدَ الحَدِيثَ على الصَّوابِ فيها (ص: ٣٧٣)، واستَدلَّ بِهِ على نُزولِه تَعَالى بِذَاتِه عَشِيَّةَ عَرَفَة، وبِحَديثِ جَابِرٍ المُشَارِ إليْهِ آنفا.)اهـ[1].

وَقَدْ بَوَّبَ المُنْذِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:«بابٌ هل تُفَسَّر صفَةَ الدُّنوِّ بالتَّجَلِّي؟»، وسَاقَ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عُبَيْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ فَيقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»، وَقَالَ صَحِيح.

وعلَّق عَلى ذَلِكَ العَلَّامَةُ الأَلْبَانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **فَقَالَ:**

(فِي الأَصْلِ وَالمَخْطُوطَة: (لَيَدْنُو يَتَجَلَّى)، وَالصَّوابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ، وزِيادةُ (يَتَجَلَّى) زِيادةٌ مُنْكَرَةٌ لا أَصْلَ لهَا في شَيءٍ مِنْ رِواياتِ الحَدِيثِ كَمَا حَقَّقْتُهُ في «الصَحِيحَةِ» (٢٥٥١)، ومِنَ الظَّاهِرِ أنَّ مَقْصُودَ مِنْ أدرَجِهَا في الحَدِيثِ تَفْسيرهُ بِهَا، وهَذَا خِلافُ مَا عَلَيْهِ السَّلَفُ أنَّ الدُّنوَّ صِفَةُ حَقِيقَةٍ للهِ تَعَالى كَالنُّزُولِ، فَهوَ يَنْزِلُ كَمَا يَشَاءُ، وَيدْنُو مِنْ خَلقِهِ كَمَا يَشَاءُ، لا يُشبِهُ نُزولُهُ ودُنُوُّهُ نُزُولَ المَخْلوقَاتِ ودُنُوَّهُمْ، كَمَا حَقَّقَهُ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيمِيَةَ في كِتَابِهِ «شَرْحُ حَدِيثِ النُّزولِ» وغيرِهِ.)اهـ[2].

*****

(١)«سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦/ ١٠٨، ١٠٩).

(٢)«التعليق علىٰ الترغيب والترهيب» (١/ ٤٩٧).

الخَطَأُ الثَّالِثُ عَشَرَ:

تَأْوِيلُهُ صِفَةَ النُّزُولِ إلى السَّمَاءِ الدُّنيَا بِتَنَزُّلِ رَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، أَوِ الاسْتِعَارَةِ، وَمَعْنَاهُ: الْإِقْبَالُ عَلَى الدَّاعِينَ بِالْإِجَابَةِ وَاللُّطْفِ:

قال عفا الله عنه: (قَوْلُهُ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ**»: هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ سَبَقَ إِيضَاحُهُمَا فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَمُخْتَصَرُهُمَا أَنَّ أَحَدَهُمَا وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفِ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، وَعَنِ الانْتِقَالِ وَالْحَرَكَاتِ وَسَائِرِ سِمَاتِ الْخَلْقِ. وَالثَّانِي: مَذْهَبُ أَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَمَاعَاتٍ مِنَ السَّلَفِ وَهُوَ مَحْكِيٌّ هُنَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ: أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا. فَعَلَى هَذَا تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلَيْنِ، أَحَدُهُمَا: تَأْوِيلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ، مَعْنَاهُ: تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ كَمَا يُقَالُ: فَعَلَ السُّلْطَانُ كَذَا إِذَا فَعَلَهُ أَتْبَاعُهُ بِأَمْرِهِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ، وَمَعْنَاهُ: الْإِقْبَالُ عَلَى الدَّاعِينَ بِالْإِجَابَةِ وَاللُّطْفِ. وَاللهُ أَعْلَم)[1].

التَّعْلِيقُ:

النُّزُولُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ عَزَّ وجَلَّ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ**

(١)«المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٦/ ٣٧).

يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[1].

وقَالَ إمَامُ الأئِمَّةِ مُحَمَّدُ بنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ ثَابتةِ السَّنَدِ صَحِيحَةِ القَوامِ رواهَا عُلَمَاءُ الحِجَازِ والعِرَاقِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ في نُزُولِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيَا كُلَّ ليْلَةٍ نَشْهَدُ شَهَادَةً مُقِرٍّ بلِسَانِهِ مُصَدِّقٍ بِقَلْبِهِ مُسْتَيقِنٍ بِمَا في هَذِه الأَخْبَارِ مِنْ ذِكرِ نُزولِ الرَّبِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ الكَيْفِيَّةَ لأنَّ نَبيَّنَا المُصْطَفَى لَمْ يَصِفْ لنَا كَيفيَّةَ نُزولِ خَالِقِنَا إلى سَمَاءِ الدُّنيَا وأعْلَمَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ. واللهُ جَلَّ وعَلَا لَمْ يَتْرُكْ ولا نَبِيُّهُ بَيَانَ ما بالمُسْلِمينَ الحَاجَةَ إليْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ.

فَنَحْنُ قَائِلونَ مُصَدِّقُونَ بِمَا في هَذهِ الأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ النُّزولِ، غَيْرُ مُتَكَلِفِينَ القَولَ بِصِفَتِهِ أَوْ بِصِفَةِ الكَيفِيَّةِ إِذِ النَّبيُّ ﷺ لم يَصِفْ لَنا كَيفيَّةَ النُّزولِ.

وفي هَذِهِ الأَخْبارِ مَا بَانَ وثَبَتَ وصَحَّ، إِنَّ اللهَ جَلَّ وعَلاَ فَوقَ سَمَاءِ الدُّنْيَا، الَّذِي أَخبَرنَا نَبِيُّنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ إليْهِ[2] إِذْ مُحَالٌ في لُغَةِ العَرَبِ أَنْ يَقُولَ نَزَلَ مِنْ أَسْفَلَ إلى أَعْلَى ومَفهُومٌ في الخِطَابِ أَنَّ النُّزولَ مِنْ أَعْلَى إلى أَسْفَلَ)[3].

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ إِذا وصَفَهُ رَسُولُهُ بأَنَّهُ يَنْزِلُ إلى سَمَاءِ الدُّنيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، وأَنَّهُ يَدنُو عَشِيَةَ عَرَفَةَ إلى الحُجَّاجِ، وأَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى بالوَادِي الأَيْمَنِ في البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وأَنَّه اسْتَوى إلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ، فَقَالَ لَهَا وللأَرْضِ: ائتيا طَوْعاً

---

(١) أخرجه البخاري بَاب (الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ) (رقم: ١٠٧٧)، ومسلم بَاب (التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ) (رقم: ١٢٦١)، وأبو داود (بَاب فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ) (رقم: ٤١٠٨)، والترمذي بَاب (مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ) (رقم: ٣٤٢٠)، وابن ماجه بَاب (مَا جَاءَ فِي أَيِّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ أَفْضَلُ) (رقم: ١٣٥٦).

(٢) كذا عند ابن خزيمة ولعل الصواب «إليها».

(٣) «كتاب التوحيد» الطبعة: الخامسة ١٤١٤هـ - مكتبة الرشد - الرياض.

أو كَرْهـًا؛ لم يَلزَمْ مِنْ ذَلِكَ أنْ تَكُونَ هَذِه الأفْعَالُ مِنْ جِنْسِ ما نُشَاهِدُهُ مِنْ نُزولِ هَذِهِ الأعْيانِ المَشْهُودَةِ، حَتَّى يُقالَ: ذَلِك يَستَلزِمُ تَفْريغَ مَكَانٍ وشَغْلَ آخَرَ)[1].

وَقَالَ أَبُو القَاسِمِ اللالكَائيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سِيَاقُ ما رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ في نُزولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالى رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِشْرونَ نَفْسَـًا، وَرُوِيَ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ: - عَنِ -[2] ابنُ مَسْعُودٍ، وابنُ عَبَاسٍ، وأمُّ سَلَمَةَ، ومِنَ التَّابِعينَ: عَطَاءٌ، وعُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ، ومكَحولٌ، وكَعْبُ الأحْبَارِ)[3].

وسَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ الرِوايَاتِ في ذَلِكَ عَنْ: أبي هُرَيرَةَ، وأبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وعَليِّ بنِ أبي طَالبٍ، وأبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ، وجَابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ، وَرِفَاعَةَ بنِ عَرَابَةَ الجُهَنيِّ، وأبي الدَّردَاءِ، وعَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، وجُبَيرِ بنِ مُطْعَمٍ، وَأَبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ، وعُمَرَ بنِ عَبَسَةَ، وعُقبَةَ بنِ عَامِرٍ الجُهَنيِّ، وَأَبِي مُوسَى، وعَائِشَةَ، وعَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ، وأمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعـًا.

*****

الخَطَأُ الرَّابِعُ عَشَرَ:

تَأْوِيلُهُ الأَصَابِعَ بِالقَهْرِ وَالتَّصَرُّفِ فِي العَبْدِ، أَوْ بِالاقْتِدَارِ عَلَى خَلْقِهَا، أَوْ أَصَابِعِ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ:

(قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»: هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَفِيهَا الْقَوْلَانِ السَّابِقَانِ

---

(١) تفسير سورة الإخلاص (٤/ ٤٢٤).

(٢) وهي والله أعلم زائدة علىٰ سياق النصِّ في «أصول الاعتقاد». فبدونها يستقيم المعنىٰ.

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٢١٥).

قَرِيبًا: أَحَدُهُمَا الْإِيمَانُ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلٍ وَلَا لِمَعْرِفَةِ الْمَعْنَى، بَلْ يُؤْمَن بِأَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وَالثَّانِي يُتَأَوَّلُ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهَا، فَعَلَى هَذَا الْمُرَادُ الْمَجَازُ كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ فِي قَبْضَتِي، وَفِي كَفِّي، لَا يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ حَالٌّ فِي كَفِّهِ، بَلِ الْمُرَادُ تَحْتَ قُدْرَتِي. وَيُقَالُ: فُلَانٌ بَيْنَ إِصْبَعِي أُقَلِّبُهُ كَيْفَ شِئْتُ أَيْ أَنَّهُ مِنِّي عَلَى قَهْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ كَيْفَ شِئْتُ. فَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷻ مُتَصَرِّفٌ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَغَيْرِهَا كَيْفَ شَاءَ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا يَفُوتُهُ مَا أَرَادَهُ، كَمَا لَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا كَانَ بَيْن إِصْبَعَيْهِ. فَخَاطَبَ الْعَرَبَ بِمَا يَفْهَمُونَهُ، وَمَثَّلَهُ بِالْمَعَانِي الْحِسِّيَّةِ تَأْكِيدًا لَهُ فِي نُفُوسِهِمْ. فَإِنْ قِيلَ: فَقُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى وَاحِدَةٌ، وَالْإِصْبَعَانِ لِلتَّثْنِيَةِ. فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ أَنَّ هَذَا مَجَازٌ وَاسْتِعَارَةٌ، فَوَقَعَ التَّمْثِيلُ بِحَسَبِ مَا اِعْتَادُوا غَيْرَ مَقْصُودٍ بِهِ التَّثْنِيَةَ وَالْجَمْعَ. وَاللهُ أَعْلَمُ)[1].

وقال (قَوْلُهُ: «إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ... إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ».

هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ سَبَقَ فِيهَا الْمَذْهَبَانِ: التَّأْوِيلُ وَالْإِمْسَاكُ عَنْهُ، مَعَ الْإِيمَانِ بِهَا، مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ الظَّاهِرَ مِنْهَا غَيْرُ مُرَادٍ، فَعَلَى قَوْلِ الْمُتَأَوِّلِينَ يَتَأَوَّلُونَ الْأَصَابِعَ هُنَا عَلَى الاقْتِدَارِ أَيْ: خَلَقَهَا مَعَ عِظَمِهَا بِلَا تَعَبٍ وَلَا مَلَلٍ، وَالنَّاسُ يَذْكُرُونَ الْإِصْبَعَ فِي مِثْلِ هَذَا لِلْمُبَالَغَةِ وَالِاحْتِقَارِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: بِأُصْبُعِي أَقْتُلُ زَيْدًا، أَيْ: لَا كَلَفَةَ عَلَيَّ فِي قَتْلِهِ، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ أَصَابِعُ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذَا غَيْرُ مُمْتَنِعٍ، وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ يَدَ الْجَارِحَةِ مُسْتَحِيلَةٌ)[2].

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٦/ ٢٠٤).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٧/ ١٣٠).

التَّعْلِيقُ:

الأَصَابِعُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ عَزَّ وجَلَّ بالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

1- عَنْ أَبِي هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»(١).

2- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا، قَالَ: **نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(٢).

3- عنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ**». وَكَانَ يَقُولُ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ**»(٣).

4- عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى

---

(١) أخرجه مسلم (بَاب تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَىٰ الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ) (رقم: ٤٧٩٨)، وأحمد (رقم: ٦٢٨١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (رقم: ٧٨٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ) (رقم: ٢٠٦٦)، وابن ماجه (بَاب دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) (رقم: ٣٨٢٤)، وأحمد (رقم:١١٦٦٤). وصحَّحه العلَّامة الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٣) أخرجه أحمد(رقم: ١٧٦٣٠) وابن ماجه (بَاب فِيمَا أَنْكَرَتْ الْجَهْمِيَّةُ) (رقم: ١٩٥). وصحَّحه العلَّامة الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧] (١).

تَبْوِيبُ الأَئِمَّةِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ، وَكَلَامُهُمْ فِيهَا:

1 -قَالَ الإمامُ أبو سعيدٍ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

(رَوَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**». فَأَقْرَرْتَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ، ثُمَّ رَدَدْتَهُ بِأَقْبَحِ مُحَالٍ، وَأَوْحَشِ ضَلَالٍ. وَلَوْ قَدْ دَفَعْتَ الْحَدِيثَ أَصْلًا لَكَانَ أَعْذَرَ لَكَ مِنْ أَنْ تُقِرَّ بِهِ، ثُمَّ تَرُدَّهُ بِمُحَالٍ مِنَ الْحُجَجِ، وَبِالَّتِي هِيَ أَعْوَجُ، فَزَعَمْتَ أَنَّ أُصْبُعَيِ اللهِ قُدْرَتَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أَيْ فِي مُلْكِهِ.

فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمُعْجَبُ بِجَهَالَتِهِ: فِي أَيِّ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَجَدْتَ أَنَّ أُصْبُعَيْهِ قُدْرَتَيْهِ؟ فَأَنْبِئْنَا بِهَا، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَاهَا خَارِجَةً مِنْ جَمِيعِ لُغَاتِهِمْ إِنَّمَا هِيَ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ قَدْ كَفَتِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا وَمَلَأَتْهَا وَاسْتَنْطَقَتْهَا، فَكَيْفَ صَارَتْ لِلْقُلُوبِ مِنْ بَيْنِ الْأَشْيَاءِ قُدْرَتَانِ؟ وَكَمْ تَعُدُّهَا قُدْرَةً؟ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ»، وَفِي دَعْوَاكَ: هِيَ أَكْثَرُ مِنْ قُدْرَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ. وَحَكَمْتَ فِيهَا لِلْقُلُوبِ قُدْرَتَيْنِ وَسَائِرُهَا لِمَا سِوَاهَا، فَفِي دَعْوَاكَ هَذَا أَقْبَحُ مُحَالٍ، وَأَبْيَنُ ضَلَالٍ، فَكَيْفَ ادَّعَيْتَ أَنَّ الْأَرْضَ قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ: أَنَّهَا صَارَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مُلْكِهِ؟ كَأَنَّهُمَا كَانَتْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي مُلْكِ غَيْرِهِ، خَارِجَةً عَنْ مُلْكِهِ، فَكَانَ

(١)أخرجه البخاري (باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾) (رقم: ٤٤٣٧) ، ومسلم (كتاب صفة صلاة القيامة والجنة والنار) (رقم: ٤٩٩٢) ، والترمذي (باب ومن سورة الزمر) (رقم:٣١٦٢)

مَغْلُوبًا عَلَيْهَا فِي دَعْوَاكَ، حَتَّى صَارَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مُلْكِهِ!! وَمَا بَالُهَا تَصِيرُ فِي مُلْكِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَطْوِيَّاتٍ وَلَا تكونُ فِي مُلْكِهِ مَنْشُورَاتٍ؟ وَمَا أرك إِلَّا سَتَدْرِي أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَطْوِيَّتُۢ﴾ نَاقِضٌ لِتَأْوِيلِكَ.

وَمِمَّا يَزِيدُهُ نَقْضًا: قَوْلُهُ الْآخَرُ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: يَطْوِي اللهُ السَّمَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ فَفِي قَوْلِ اللهِ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾، وَحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيَانٌ وَمَعْنًى مُخَالِفٌ قِيلَكَ لَا شَكَّ فِيهِ وَكَيْفَ أَقرَرْتَ بِالْحَدِيثِ فِي الأُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ وَفَسَّرْتَهُمَا قُدْرَتَيْنِ؟ وَكَذَّبْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي خَمْسِ أَصَابِعَ، وَهُوَ أَجْوَدُ إِسْنَادًا مِنْ حَدِيثِ الْأُصْبُعَيْنِ؟ أَفَلَا أَقْرَرْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ثُمَّ تَأَوَّلْتَهُ: الْقُدْرَةُ خَمْسُ قُدْرَاتٍ كَمَا تَأَوَّلْتَ فِي الْأُصْبُعَيْنِ بِقُدْرَتَيْنِ؟. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنَ الْأَصَابِعِ**».

فَأَمَّا تَكْذِيبُكَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَلَغَكَ أَنَّ اللهَ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ؟، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، وَتَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فَادَّعَيْتَ أَنَّ هَذِهِ نَزَلَتْ تَكْذِيبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، ثُمَّ قُلْتَ: أَفَتَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ الْيَهُودِ؟

فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: قَلَّمَا رَأينَا مُفَسِّرًا وَمُتَكَلِّمًا أَشَدَّ مناقضًا[1] لِكَلَامِهِ مِنْكَ مَرَّةً تَقُولُ: الْحَدِيثُ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتُفَسِّرُهُ قُدْرَتَيْنِ، وَمَرَّةً تَقُولُ: هُوَ

(١) قال محقق طبعة : مكتبة الرشد : إنه في طبعة أخرىٰ جاءت (مناقضةً).

كَذِبٌ. وَقَوْلُ الْيَهُودِ تُقِرُّ بِهِ مَرَّةً وتُنْكِرُ أُخْرَى، وَلَوْ قَدْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَرُوَاتِهِ لَعَلِمْتَ أَنَّ الْأَثَرَ قَدْ جَاءَ بِهِ تَصْدِيقًا لِلْيَهُودِيِّ، لَا تَكْذِيبًا لَهُ كَمَا ادَّعَيْتَ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ: «ضَحِكَ مِنْ قَوْلِ الْحَبْرِ تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ وَتَصْدِيقًا لَهُ».

فَعَمَّنْ رَوَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ قَالَ تَكْذِيبًا لَهُ، فَأَنْبِئْنَا بِهِ وَإِلَّا فَإِنَّكَ فِيهَا مِنَ الْكَاذِبِينَ.

وَأَمَّا تَشْنِيعُكَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُقِرِّينَ بِصِفَاتِ اللهِ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا قَالَ اللهُ: أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ فِيهَا جَوَارِحَ وَأَعْضَاءً، فَقَدِ ادَّعَيْتَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ زُورًا، بَاطِلًا، وَأَنتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِمَ يُرِيدُونَ بِهَا، إِنَّمَا يُثْبِتُونَ مِنْهَا مَا أَنْتَ لَهُ مُعَطِّلٌ وَبِهِ مُكَذِّبٌ، وَلَا يَتَوَهَّمُونَ فِيهَا إِلَّا مَا عَنَى اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ، وَلَا يَدَّعُونَ جَوَارِحَ، وَلَا أعطاء[1] كَمَا تَقَوَّلْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَأْلُو فِي التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ بِالْكَذِبِ، لِيَكُونَنَّ أَرْوَجَ لِضَلَالَتِكَ عِنْدَ الْجُهَّالِ، وَلَئِنْ جَزِعْتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الْحَبْرِ، مَالَكَ رَاحَةٌ فِي رِوَايَةِ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّا يُحَقِّقُ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيُثْبِتُ رِوَايَتَهُ.

حَدَّثَنَا مُوسَى بن إِسْمَاعِيل أَبُو سَلَمَةَ ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أُمِّ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ ل أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَبَهُ**».

وَحَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ ثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَاهُ حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ أَخْبرنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو

---

(١) لعلَّ الصواب «ولا أعضاء»؛ حتىٰ يستقيم المعنىٰ.

بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قُلُوبُ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُ كَيفَ شَاءَ ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**».

حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ ثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ أنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَينَ أصبعين مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**».

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ أَبِي عَيَّاشِ بنِ أَبِي مهْرَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**».

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْحِمْصِيُّ ثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ عتبَةَ ابْنِ أَبِي حَكِيمٍ عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِذَا شَاءَ قَالَ بِهِ هَكَذَا - وَأَمَالَ يَدَهُ - وَإِذَا شَاءَ قَالَ بِهِ هَكَذَا - وَأَمَالَ يَدَهُ - وَإِذَا شَاءَ ثبته**».

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَاسِطِيُّ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ ل تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ بَنِي آدَمَ بَشَرٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أزاغَهُ**».

فَهَذِهِ أَلْفَاظُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَيْتُهُ وَثَبَّتُّهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فَفِي أَيِّ لُغَاتٍ وَجَدْتَ أَنَّهَا قُدْرَتَانِ مِنَ الْقُدَرِ؟ وَهَلْ مِنْ شَيءٍ لَيْسَ قُدْرَةَ اللهِ[1] الَّتِي

(١) قال محقق طبعة مكتبة الرشد: إنها في نسخ أخرىٰ (ليس تحت قدرة الله).

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى يَخُصَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُلُوبَ مِنْ بَيْنِه بِقُدْرَتَيْنِ؟ فَلَمْ تَدَّعِ مَا إِذَا رَجَعْتَ فِيهِ إِلَى نَفْسِكَ عَلِمْتَ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ وَضِحْكَةٌ وَسُخْرِيَةٌ، مَعَ أَنَّ الْمُعَارِضَ لَمْ يَقْنَعْ بِتَفْسِيرِ إِمَامِهِ الْمَرِيسِيِّ حَتَّى اخْتَرَقَ لِنَفْسِهِ فِيهِ مَذْهَبًا خِلَافَ مَا قَالَ إِمَامُهُ، وَخَلَا مَا يُوجدُ فِي لُغَات وَالْعَجَمِ[1]، فَقَالَ: أُصْبُعَاهُ: نِعْمَتَاهُ قَالَ: وَهَذَا جَائِزٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

فَيُقَالُ: لِهَذَا الْمُعَارِضِ: فِي أَيِّ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَجَدْتَ إِجَازَتَهُ؟ وَعَنْ أَيِّ فَقِيهٍ أَخَذْتَهُ.؟ فَاسْتَنِدْ إِلَيْهِ وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنَ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَلَوْ كُنْتَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ...، أَوِ الْأَصْمَعِيَّ مَا قُبِلَ ذَلِكَ مِنْكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ)[2].

2 – **بَوَّبَ إِمَامُ الأَئِمَّةِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ** رَحِمَهُ اللهُ:

«بَابُ إِثْبَاتِ الْأَصَابِعِ لِلَّهِ ﷻ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ قِيلًا لَهُ لَا حِكَايَةً عَنْ غَيْرِهِ»، وَذَكَرَ بِأَسَانِيدِهِ مَا يَثْبِتُ ذَلِكَ[3].

3 – **وَبَوَّبَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ** رَحِمَهُ اللهُ:

«بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّبِّ ﷻ بِلَا كَيْفٍ» وَ «بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ ﷻ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ» وَسَاقَ فِي كِلَيْهِمَا جُمْلَةً أَحَادِيثَ[4].

---

(١) لعل الصواب «وخلا ما يوجد حتىٰ في لغات العجم».

(٢) «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله ﷻ من التوحيد» (١/ ٣٧٣-٣٨٣) – الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ – مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض.

(٣) «كتاب التوحيد» (١/ ١٨٧).

(٤) «كتاب الشريعة» (٣/ ١١٥٦ – ١١٦٨) – الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – دار الوطن – الرياض.

4- **وَقَالَ الإِمامُ أبو مُحَمَّدٍ الحُسَينُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَويُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَالإِصْبَعُ المَذكُورَةُ في الحَدِيثِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ مِنْ هَذا القَبِيلِ في صِفَاتِ اللهِ تَعَالى، كَالنَّفْسِ، والوجْهِ، والعَيْنِ، واليَدِ، والرِجْلِ، والإِتْيَانِ، والمَجِيءِ، والنُّزولِ إلى السَّمَاءِ الدُّنيَا، والاستِواءِ على العَرْشِ، والضَّحِكِ، والفَرَحِ)[1].

5- **وقَالَ الإِمَامُ أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ مُسْلِمِ بنِ قُتَيبَةَ الدَّيْنُورِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَإِنَّ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ الْإِصْبَعِ لَا يُشْبِهُ الْحَدِيثَ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**».

فَقَالَتْ لَهُ إِحْدَى أَزوَاجِهِ: أَو تخَاف -يَا رَسُولَ اللهِ- عَلَى نَفْسِكَ؟.

فَقَالَ: «**إِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ، بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**».

فَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ مَحْفُوظٌ بِتَيْنِكَ النِّعْمَتَيْنِ، فَلِأَيِّ شَيْءٍ دَعَا بِالتَّثْبِيتِ؟ وَلِمَ احْتَجَّ عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي قَالَتْ لَهُ: «أَتَخَافُ عَلَى نَفْسِكَ» بِمَا يُؤَكِّدُ قَوْلَهَا؟ وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَخَافَ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ مَحْرُوسًا بِنِعْمَتَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ لَنَا: مَا الإِصْبعُ عنْدَكَ هَهُنَا؟

قُلْنَا: هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَكَذَا عَلَى أُصْبُعَيْنِ.

وَلَا يجوز أَنْ تكونَ الإِصْبعُ - هَهُنَا- نِعْمَةً.

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ

(١) «شرح السنة» (١/ ١٦٨) - الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ - المكتب الإسلامي - بيروت.

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وَلَمْ يَجُزْ ذَلِكَ.

وَلَا نَقُولُ أُصْبُعٌ كَأَصَابِعِنَا، وَلَا يَدٌ كَأَيْدِينَا، وَلَا قَبْضَةٌ كَقَبَضَاتِنَا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ ﷻ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنَّا) (١).

قَالَ العَلاَّمَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحِ العُثَيمِينُ رَحِمَهُ اللهُ:

(وقَدْ أَخذَ السَّلَفُ أَهْلُ السُّنَّةِ بظَاهِرِ الحَدِيثِ، وَقَالُوا: إنَّ للهِ تَعَالَى أصَابعَ حَقِيقَةً، نُثبتُهَا لَهُ كَمَا أثْبَتَهَا لَه رَسُولُهُ ﷺ. ولا يَلْزَمُ مِنْ كَونِ قُلوبِ بَني آدَمَ بَيْنَ إصْبَعينْ مِنْها أنْ تَكُونَ مُمَاسَّةً لَهَا، حَتَّى يُقَالَ: إنَّ الحَدِيثَ مُوهِمٌ للحُلولِ فَيَجِبُ صَرْفُه عَنْ ظَاهِرِه. فَهذَا السَّحَابُ مُسَخَّرٌ بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ وهو لا يَمَسُ السَّمَاءَ ولا الأرضَ. ويُقَالُ: بَدْرٌ بَيْنَ مَكَةَ والمَدِينَةَ، مَعَ تَبَاعُدِ ما بَيْنَهَا وبَيْنَهُمَا. فَقُلوبُ بني آدَمَ كُلُّهَا بينَ إصْبَعَيْنِ من أَصَابعِ الرَّحْمَنِ حَقِيقَةً، ولا يَلزَمُ مِنْ ذَلِكَ مُمَاسَّةٌ ولا حُلُولٌ) (٢).

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَقَدْ يَجْتَمعُ الخَطَأُ مِنَ الوَجْهَينِ في مِثَالٍ واحِدٍ مِثْلَ قَوْلِهِ ﷺ: «**إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**».

فَقَالُوا عَلَى الوَجْهِ الأوَّلِ: ظَاهِرُ الحَدِيثِ أَنَّ قُلوبَ بني آدَمَ بَيْنَ أَصَابعِ الرَّحمنِ فَيلزَمُ مِنه المُبَاشَرَةُ والمُمَاسَّةُ، وأنْ تَكُونَ أَصَابعُ اللهِ سُبْحَانَه دَاخِلَ أجْوافِنَا، وهَذا مَعنًى فَاسِدٌ فيكُونُ غَيْرُ مُرادٍ.

وقَالُوا عَلَى الوَجْهِ الثَّاني: ظَاهِرُ الحَدِيثِ أنَّ للهِ أصَابعَ حَقِيقَيَّةً والأَصَابعُ جَوارِحُ، وهَذَا مَعَنَى فَاسِدٌ فَيَكُونُ غَيْرُ مُرَادٍ.

فَنَقولُ عَلَى الوَجْهِ الأوَّلِ: إنَّ كَونَ قُلوبِ بني آدم بَيْنَ إصْبَعينِ مِنْ أصَابعِ الرَّحمنِ

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص:٣٠٢،٣٠٣) – الطبعة:الثانية ١٤١٩هـ – المكتب الاسلامي – بيروت.

(٢) «القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ» (ص:٥١) – الطبعة: الثالثة ١٤٢١ه – الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

حَقِيقَةً لا يَلزَمُ مِنه المُبَاشَرةُ والمُمَاسَّةُ، ولا أن تَكُونَ أَصَابِعُ اللهِ ﷻ دَاخِلَ أَجْوافِنَا.

أَلَا تَرَى إِلَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤]؛ فإنَّ السَّحَابَ لا يُبَاشِرُ السَّمَاءَ ولا الأرضَ ولا يَمَاسُّهُمَا.

ويُقَالُ: سُترَةُ المُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْهِ وليْسَتْ مُبَاشِرَةً لَهُ وَلَا مُمَاسَّةً لَهُ.

فَإِذَا كَانَتِ البَيْنِيَّةُ لا تَستَلزِمُ المُبَاشَرَةَ والمُمَاسَّةَ فيمَا بَيْن المَخْلوقَاتِ فَكَيفَ بالبَينِيَّةِ فيمَا بَينْ المَخْلوقِ والخَالِقِ الَّذِي وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمواتِ والأرضَ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٌ؟!

وقَدْ دَلَّ السَّمْعُ والعَقلُ على أنَّ اللهَ تَعالَى بَائِنٌ مِنْ خَلقِه، ولا يَحِلُّ في شيء مِنْ خَلقِهِ، وأَجْمَعَ السَّلفُ على ذَلِكَ.

ونَقُولُ على الوَجهِ الثَّاني: إنَّ ثُبوتَ الأَصَابِعِ الحَقِيقِيَّةِ للهِ تَعالى لا يَسْتَلزِمُ مَعنًى فاسداً، وحِينئِذٍ يَكُونُ مُراداً قَطْعًا، فإنَّ للهِ تَعَالَى أَصَابِعَ حَقِيقِيَّةً تليقُ باللهِ ﷻ، ولا تُماثِلُ أَصَابِعَ المَخْلوقينَ.

وفي صَحِيحِ البُّخَارِيِّ ومُسلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧]. هَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الزُّمَرِ.

فأيُّ مَعْنًى فَاسِدٍ يَلزَمُ مِنْ ظَاهِرِ النَّصِ حَتَّى يُقَالَ إنَّه غَيْرُ مُرَادٍ؟!)[1].

---

(١) «تقريب التدمرية» (ص: ٦١ - ٦٣) - الطبعة: الأولىٰ ١٤١٩هـ - دار ابن الجوزي - السعودية.

*****

الخَطَأُ الخَامِسُ عَشَرَ:

تَأويلُهُ صِفَةَ الوَجْهِ بِالذَّاتِ:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا اِنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» فَالسُّبُحَاتُ بِضَمِّ السِّينِ وَالْبَاءِ وَرَفْعِ التَّاءِ فِي آخِرِهِ وَهِيَ جَمْعُ سُبْحَةٍ. قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ وَالْهَرَوِيُّ وَجَمِيعُ الشَّارِحِينَ لِلْحَدِيثِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ: مَعْنَى «سُبُحَاتُ وَجْهِهِ» نُورُهُ وَجَلَالُهُ وَبَهَاؤُهُ، وَأَمَّا الْحِجَابُ فَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ وَالسَّتْرُ، وَحَقِيقَةُ الْحِجَابِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَجْسَامِ الْمَحْدُودَةِ، وَاَللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ وَالْحَدِّ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيَتِهِ، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِعُ نُورًا أَوْ نَارًا لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ فِي الْعَادَةِ لِشُعَاعِهِمَا، وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ، وَالْمُرَادُ بِمَا اِنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّ بَصَرَهُ ﷻ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، وَلَفْظَةُ «مِنْ» لِبَيَانِ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ، وَالتَّقْدِيرُ لَوْ أَزَالَ الْمَانِعَ مِنْ رُؤْيَتِهِ وَهُوَ الْحِجَابُ الْمُسَمَّى نُورًا أَوْ نَارًا وَتَجَلَّى لِخَلْقِهِ لَأَحْرَقَ جَلَالُ ذَاتِهِ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ. وَاَللهُ أَعْلَمُ)[1].

التَّعْلِيقُ:

الْوَجْهُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ للهِ عَزَّ وجَلَّ ثَابِتَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

1- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢].

2- وَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرَّعد:٢٢].

3- وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ١٤).

وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمن:٢٦-٢٧].

قَالَ الحَافِظُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ سَيَذْهَبُونَ وَيَمُوتُونَ أَجْمَعُونَ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ سِوَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ - تَعَالَى وَتَقَدَّسَ - لَا يَمُوتُ، بَلْ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا.

قَالَ قَتَادَةُ: أَنْبَأَ بِمَا خَلَقَ، ثُمَّ أَنْبَأَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ كَانَ.

وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا قَرَأْتَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، فَلَا تَسْكُتْ حَتَّى تَقْرَأَ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وَقَدْ نَعَتَ تَعَالَى وَجْهَهُ الْكَرِيمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ أَيْ: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُخَالَفُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكَهْف:٢٨]، وَكَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنِ الْمُتَصَدِّقِينَ: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [الإِنْسَان:٩])[1].

4- وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص:٨٨].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّة:

1- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ**

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٩٤). الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ قَالَ فَفُرِجَ عَنْهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقَالَتْ لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ فَقَالَ أَتَسْتَهْزِئُ بِي قَالَ فَقُلْتُ مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ»[1].

2- عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ

(١) أخرجه البخاري بَاب (إِذَا اشْتَرَىٰ شَيْئًا لِغَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَرَضِيَ) (رقم: ٢٠٦٣)، ومسلم بَاب (قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ) (رقم: ٤٩٢٦).

أَرْجُلِكُمْ ﴾. قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ) ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ**»[1].

3- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**».

4- عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ** قَالَ عِتْبَانُ فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ: **أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ** قَالَ فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ الْبَيْتِ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَبَّرَ فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ قَالَ وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ قَالَ فَآبَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَا تَقُلْ ذَلِكَ أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ** قَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ**

---

(١) أخرجه البخاري بَاب (قَوْلِهِ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الْآيَةَ) (رقم: ٤٢٦٢)، والترمذي بَاب (وَمِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ) (رقم: ٢٩٩١)، والنسائي في «الكبرى» (رقم: ١١١٦٤).

مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[1].

5- عنْ خَبَّابٍ ﷺ قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ **فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ الْإِذْخِرِ»**[2].

6- عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ ﷺ قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: **يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»**[3].

7- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا»**[4].

8- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: «يَا

---

(١) أخرجه البخاري (بَاب الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ) (رقم: ٤٠٧)، ومسلم (بَاب الرُّخْصَةِ فِي التَّخَلُّفِ عَنْ الْجَمَاعَةِ بِعُذْرٍ) (رقم: ١٠٥٢).

(٢) أخرجه البخاري بَاب (إِذَا لَمْ يَجِدْ كَفَنًا إِلَّا مَا يُوَارِي رَأْسَهُ أَوْ قَدَمَيْهِ غَطَّىٰ رَأْسَهُ) (رقم: ١١٩٧)، ومسلم (بَاب فِي كَفَنِ الْمَيِّتِ) (رقم: ١٥٦٢)، والترمذي بَاب (مَنَاقِبِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ) (رقم: ٣٧٨٨)، والنسائي في «الصغرىٰ» باب (الْقَمِيصُ فِي الْكَفَنِ) (رقم: ١٨٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (بَاب حَدِيثِ الْخَضِرِ مَعَ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَام) (رقم: ٣١٥٣)، ومسلم (بَاب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَام وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ) (رقم: ١٧٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (بَاب فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ) (رقم: ٣١٧٩)، وابن ماجه (بَاب الِانْتِفَاعِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ) (رقم: ٢٤٨). وصحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن أبي داود» (رقم: ٣٦٦٤).

رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَ: **وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ** قُلْتُ نَعَمْ قَالَ: **ارْجِعْ فَبَرَّهَا** ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَ: **وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ** قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا** ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَ: **وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ** قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ**»[(١)].

9- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ**»[(٢)].

10- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْغَزْوُ غَزْوَانِ فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللهِ وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً وَعَصَى الْإِمَامَ وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ**»[(٣)].

11- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ عَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ فَذَاكَ يُؤْتَى أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ وَضِيئَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ فَذَلِكَ يُؤْتَى أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ وَرَجُلٌ آمَنَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَاءَ الْكِتَابُ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (بَاب الرَّجُلِ يَغْزُو وَلَهُ أَبَوَانِ) (رقم: ٢٧٧١). وحسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (رقم: ١٢٤٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (بَاب الْحِلْمِ) (رقم: ٤١٧٩)، وصحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب» (رقم: ٢٧٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (بَابٌ فِي مَنْ يَغْزُو وَيَلْتَمِسُ الدُّنْيَا) (رقم: ٢١٥٤)، وصحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (رقم: ١٩٩٠).

الْآخَرُ فَآمَنَ بِهِ فَذَلِكَ يُؤْتَى أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ » (١).

12- عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: مَرِضْتُ عَامَ الْفَتْحِ مَرَضًا أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي مَالًا كَثِيرًا وَلَيْسَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي أَفَأُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ « **لَا** » قُلْتُ فَثُلُثَيْ مَالِي قَالَ « **لَا** » قُلْتُ فَالشَّطْرُ قَالَ « **لَا** » قُلْتُ فَالثُّلُثُ قَالَ « **الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ إِنَّكَ إِنْ تَدَعْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ فِيهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ** » قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أُخَلَّفُ عَنْ هِجْرَتِي قَالَ « **إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ ابْنُ خَوْلَةَ** » يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ (٢).

13- وعن أبي ذَرٍّ ﷺ **أَنَّ النبي ﷺ خرجَ في الشتاءِ والوَرَقُ يَتهافَتُ، فأخذَ بغُصْنٍ مِنْ شجرةٍ، قَالَ: فَجَعَلَ ذَلِكَ الوَرَقُ يَتَهَافَتُ،** فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ!** ». قُلْتُ: لبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ المُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَتَهافَتُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَهَافَتُ هَذَا الوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» (٣).

14- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ بَزَقَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ يَا شَبَثُ لَا تَبْزُقْ بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ « **إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَنْقَلِبَ أَوْ يُحْدِثَ حَدَثَ سُوءٍ** » (٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (بَاب مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يَعْتِقُ الْأَمَةَ ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا) (رقم: ١٠٣٥)، وصحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم: ١٨٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (بَاب مِيرَاثِ الْبَنَاتِ) (رقم: ٦٢٣٦)، والترمذي واللفظ له (بَاب مَا جَاءَ فِي الْوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ) (رقم: ٢٠٤٢).

(٣) حسن لغيره «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم: ٣٨٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه (باب المصلِّي يتنخَّم) (رقم: ١٠٢٣) وحسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة =

15 - عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَتَيْنَا جَابِرًا يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَقَالَ أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ فَنَظَرَ فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فَحَتَّهَا بِالْعُرْجُونِ ثُمَّ قَالَ « **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ**» ثُمَّ قَالَ « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلْيَبْزُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى فَإِنْ عَجِلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِثَوْبِهِ هَكَذَا وَوَضَعَهُ عَلَى فِيهِ ثُمَّ دَلَكَهُ ثُمَّ قَالَ أَرُونِي عَبِيرًا فَقَامَ فَتًى مِنْ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِخَلُوقٍ فِي رَاحَتِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ**»[1]. قَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمْ الْخَلُوقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ .

وَبوَّبَ إمامُ الأَئِمَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللهُ:

(بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ وَجْهِ اللهِ الَّذِي وَصَفَهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧]، وَنَفَى عَنْهُ الْهَلَاكَ إِذَا أَهْلَكَ اللهُ مَا قَدْ قَضَى عَلَيْهِ الْهَلَاكَ مِمَّا قَدْ خَلَقَهُ اللهُ لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، جَلَّ رَبُّنَا، عَنْ أَنْ يَهْلِكَ شَيْءٌ مِنْهُ مِمَّا هُوَ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وَقَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فَأَثْبَتَ اللهُ لِنَفْسِهِ وَجْهًا وَصَفَهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَحَكَمَ لِوَجْهِهِ بِالْبَقَاءِ، وَنَفَى

=

الصحيحة» (رقم ١٥٩٦).

(١) أخرجه مسلم (بَاب حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ) (رقم: ٥٣٢٨)، وأبو داود (بَاب فِي كَرَاهِيَةِ الْبُزَاقِ فِي الْمَسْجِدِ) (رقم: ٤١٠).

الْهَلَاكَ عَنْهُ فَنَحْنُ وَجَمِيعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَتِهَامَةَ وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، مَذْهَبُنَا: أَنَّا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، نُقِرُّ بِذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا، وَنُصَدِّقُ ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُشَبِّهَ وَجْهَ خَالِقِنَا بِوَجْهِ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، عَزَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يُشْبِهَ الْمَخْلُوقِينَ، وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ مَقَالَةِ الْمُعَطِّلِينَ، وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا كَمَا قَالَهُ الْمُبْطِلُونَ، لِأَنَّ مَا لَا صِفَةَ لَهُ عَدَمٌ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَهْمِيُّونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ صِفَاتِ خَالِقِنَا الَّذِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الروم: ٣٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٨] وَقَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] وَقَالَ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل:١٩-٢٠])[1].

وبوَّب رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ مِنْ أَخْبَارِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ، مُوَافِقَةً لِمَا تَلَوْنَا مِنَ التَّنْزِيلِ الَّذِي هُوَ بِالْقُلُوبِ مَحْفُوظٌ، وَبَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ مَكْتُوبٌ، وَفِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ مَقْرُوءٌ».

وَسَاقَ رَحِمَهُ اللهُ جُمْلَةَ أَحَادِيثَ فِي ذَلِكَ[2].

وَبَوَّبَ قَوَّامُ السُّنَّةِ أَبُو القَاسِمِ الأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«بَابُ ذِكْرِ إِثباتِ وَجْهِ اللهِ ﷻ الَّذِي وَصَفَهُ بِالجَلَالِ وَالإِكْرَامِ وَالبَقَاءِ» فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾. وَقَالَ لنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ

---

(١) «كتاب التوحيد» (١/ ٢٤ - ٢٦).

(٢) «كتاب التوحيد» (١/ ٢٧).

مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَجَمِيعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَتِهامَةَ، وَاليَمَنِ وَالْعِرَاقِ، وَالشَّامِ، وَمِصْرَ، يُثْبِتُونَ للهِ ﷻ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفسِهِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَجْهِ الْخَالِقِ بِوَجْهِ أَحَدٍ مِنَ المَخْلُوقِينَ عَزَّ رَبُّنَا وَجَلَّ عَنْ شَبَهِ المَخْلُوقِينَ، وَجَلَّ عَنْ مَقَالَةِ المُعَطِّلِينَ.)اهـ

وَسَاقَ جُمْلَةَ أَحَادِيثَ، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾. دلَالَةٌ عَلَى أَنَّ وَجْهَ اللهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ صِفَةِ الذَّاتِ، لَا أَنَّ وَجْهَ اللهِ هُوَ اللهُ، وَلَا أَن وَجْهَهُ غَيْرُهُ؛ لأَنَّ وَجْهَهُ لَوْ كَانَ الله لقُرِئَ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَام.

قَالَ: «وَزَعَمتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَمُتَّبِعِي الْآثَارِ الْقَائِلِينَ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ الْمُثْبِتِينَ للهِ ﷻ مِنْ صِفَاتِهِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، الْمُثْبَتِ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، وعَلى لِسَانِهِ نَبِيُّهُ ﷺ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعدْلِ مَوْصُولاً إِلَيْهِ مُشَبِّهَةٌ [1]، جَهْلاً مِنْهُمْ بِكِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَنَحْنُ نَقُولُ وَعُلَمَاؤُنَا جَمِيعًا إِنَّ لِمَعْبُودِنَا ﷻ وَجْهًا كَمَا أَعْلَمَنَا اللهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَوَصَفَهُ بِالجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، وَحَكَمَ لَهُ بِالْبَقَاءِ، وَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنْ أَبْصَارِ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا يرَاهُ بَشَرٌ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا، وَوَجْهُ رَبِّنَا قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ بَاقٍ لَا يزَالُ، فَنَفَي عَنهُ الفَنَاءَ، وَوُجُوهُ بَنِي آدمَ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ لَمْ تَكُنْ فَكَوَّنَهَا اللهُ فَانِيَةً غَيْرَ بَاقِيَةٍ فَهَلْ فِي هَذَا تَشْبِيهُ وَجْهِ رَبِّنَا ﷻ بِوُجُوهِ بَنِي آدَمَ غَيْرَ اتِّفَاقِ اسْمِ الْوَجْهِ وَإِيقَاعِ اسْمِ الْوَجْهِ عَلَى وَجْهِ بَنِي آدَمَ كَمَا سَمَّى اللهُ تَعَالَى وَجْهَهُ وَجْهًا، وَزَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ مَعْنَى الْوَجْهِ فِي الْكِتَابِ

---

(١) فكأنَّ تقدير الكلام (زعمت الجهميةُ أنَّ أهل السُّنَّةِ والجماعةِ مُشَبِّهَةٌ).

وَالْخَبَرِ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ وَجْهُ الْكَلَامِ وَوَجْهُ الثَّوْبِ، وَوَجْهُ الدَّارِ، فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ شَبَّهَ وَجْهَ اللهِ بِوَجْهِ الْخَلْقِ حَاشَى للهِ أَن يَكونَ أَحَدٌ مِن أَهْلِ الْأَثَرِ وَالسُّنَّةِ يُشَبِّهُ خَالِقَهُ بِأَحَدٍ مِنَ المَخْلُوقِينَ، فَقدْ قُلْنَا إِنَّ إِيقاعَ اسْمِ الْوَجْهِ للخَالِقِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَشْبِيهَ وَجْهِ الْخَالِقِ بِوُجُوهِ بني آدمَ)[1].

وَقَالَ العَلَّامَةُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُمُ اللهُ:

(قَولُه: «لا يُسألُ بوجهِ اللهِ إلا الجَنَّةَ»: فيه إثباتُ الوجْهِ خِلافًا للجَهمِيَّةِ ونَحْوِهِمْ، فإنَّهم أَوَّلُوا الوجْهَ بالذَّاتِ، وهو بَاطلٌ، إذْ لا يُسَمَّى ذَاتُ الشَّيءِ وحَقِيقَتُهُ وَجْهًا، فلا يُسَمَّى الإنْسانُ وجْهًا، ولا تُسَمَّى يَدُه وجْهًا، ولا تُسمَّى رِجْلُهُ وجْهًا. والقَولُ في الوجْهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ كالقَولِ في بَقِيَّةِ الصِّفاتِ، فَيُثبتُونَه للهِ عَلى ما يَليقُ بِجَلالِه وكِبْرِيَائِهِ مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ ولا تَحْديدٍ، إثْبَاتًا بلا تَمْثِيلٍ، وتَنْزِيهًا بلا تَعْطِيلٍ)[2].

وَقَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ خَلِيلٍ هَرَّاس رَحِمَهُ اللهُ:

قَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ إلخ، تضمَّنتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ إِثْبَاتَ صِفَةِ الْوَجْهِ لِلَّهِ ﷻ.

وَالنُّصُوصُ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا تُحصى كَثْرَةً، وَكُلُّهَا تَنْفِي تَأْوِيلَ المعطِّلةِ الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الْوَجْهَ بِالْجِهَةِ أَوِ الثَّوَابِ أَوِ الذَّاتِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّ الْوَجْهَ صفةٌ غيرُ الذَّاتِ، وَلَا يَقْتَضِي إِثْبَاتُهُ كَوْنَهُ تَعَالَى مُرَكَّبًا مِنْ أَعْضَاءٍ، كَمَا يَقُولُهُ المُجَسِّمَةُ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ لِلَّهِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، فَلَا يُشْبِهُ وَجْهًا وَلَا يُشْبِهُهُ وَجْهٌ.

واستدلَّتِ المُعَطِّلَةُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ؛ إِذْ لَا

---

(١) «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة» (١/ ٢١٥ - ٢١٨). الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ - دار الراية - الرياض.

(٢) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذىٰ هو حق الله علىٰ العبيد» (١/ ٥٧٣). الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣ه - المكتب الاسلامي، بيروت.

خُصُوصَ لِلْوَجْهِ فِي الْبَقَاءِ وَعَدَمِ الْهَلَاكِ.

وَنَحْنُ نُعَارِضُ هَذَا الِاسْتِدْلَالَ بِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ ﷻ وجهٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمَا جَاءَ اسْتِعْمَالُ هَذَا اللَّفْظِ فِي مَعْنَى الذَّاتِ؛ فَإِنَّ اللَّفْظَ الْمَوْضُوعَ لِمَعْنًى لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي مَعْنًى آخَرَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيُّ ثَابِتًا لِلْمَوْصُوفِ، حَتَّى يُمْكِنُ لِلذِّهْنِ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى لَازِمِهِ.

عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ دَفْعُ مَجَازِهِمْ بِطَرِيقٍ آخَرَ؛ فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَسْنَدَ الْبَقَاءَ إِلَى الْوَجْهِ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ بَقَاءُ الذَّاتِ؛ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُقَالَ: أَطْلَقَ الْوَجْهَ وَأَرَادَ الذَّاتَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ نَقْلًا عَنِ الْخَطَّابِيِّ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَضَافَ الْوَجْهَ إِلَى الذَّاتِ، وَأَضَافَ النَّعْتَ إِلَى الْوَجْهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ دلَّ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ الْوَجْهِ لَيْسَ بِصِلَةٍ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ صفةٌ لِلْوَجْهِ، وَالْوَجْهُ صفةٌ لِلذَّاتِ.

وَكَيْفَ يُمْكِنُ تَأْوِيلُ الْوَجْهِ بِالذَّاتِ أَوْ بِغَيْرِهَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ الطَّائِفِ: «أعوذُ بنورِ وجهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ...» إِلَخْ، وَقَوْلِهِ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: «حِجَابُهُ النُّورُ أَوِ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»؟!.)[1].

*****

الخَطَأُ السَّادِسُ عَشَرَ:

تَأْوِيلُهُ صِفَةَ الرِّضَى بِإِفَاضَةِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ:

قال عفا الله عنه (قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا».

(١) «شرح العقيدة الواسطية» الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ - دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخُبَر.

فِيهِ: فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِلشُّهَدَاءِ، وَثُبُوتُ الرِّضَا مِنْهُمْ وَلَهُمْ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ قَالَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ وَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ. وَالرِّضَى مِنَ اللهِ تَعَالَى إِفَاضَةُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ، فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَهُوَ أَيْضًا بِمَعْنَى إِرَادَتِهِ، فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ)[1].

وقال أيضًا (وَقَوْلُهَا: «وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فِي هَذَا مَعْنًى لَطِيفٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعَاذَ بِاللهِ تَعَالَى وَسَأَلَهُ أَنْ يُجِيرَهُ بِرِضَاهُ مِنْ سَخَطِهِ، وَبِمُعَافَاتِهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالرِّضَاءُ وَالسَّخَطُ ضِدَّانِ مُتَقَابِلَانِ. وَكَذَلِكَ الْمُعَافَاةُ وَالْعُقُوبَةُ فَلَمَّا صَارَ إِلَى ذِكْرِ مَا لَا ضِدَّ لَهُ وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتَعَاذَ بِهِ مِنْهُ لَا غَيْرَ، وَمَعْنَاهُ الِاسْتِغْفَارُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي بُلُوغِ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّ عِبَادَتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ)[2].

وقال أيضًا (قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الرِّضَى وَالسُّخْطُ وَالْكَرَاهَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى الْمُرَادِ بِهَا أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ، أَوْ إِرَادَتُهُ الثَّوَابَ لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَالْعِقَابَ لِبَعْضِهِمْ)[3].

التَّعْلِيقُ:

الرِّضَى: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الفِعْلِيَّةِ الخَبَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ١٤).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٤/ ٢٠٤).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٢/ ١٠).

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

1- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: 119، التوبة: ١٠٠، المُجَادِلَةُ: ٢٢، البيِّنة: ٨].

2- وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النِّساء:٩٣].

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [سورة محمَّد: ٢٨].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّة:

1- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ«**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[(١)].

2- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم بَاب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (رقم: ٧٥١)، وأبو داود بَاب فِي الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (رقم: ٧٤٥)، والترمذي بَاب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ (رقم: ٣٤١٥)، وابن ماجه بَاب مَا تَعَوَّذَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ (رقم: ٣٨٣١).

(٢) أخرجه أبو داود بَاب الْقُنُوتِ فِي الْوِتْرِ (رقم: ١٢١٥)، والترمذي بَاب فِي دُعَاءِ الْوِتْرِ (رقم: ٣٤٨٩)، وابن ماجه بَاب مَا جَاءَ فِي الْقُنُوتِ فِي الْوِتْرِ (رقم: ١١٦٩). وصححه العلامة الألباني في المشكاة(رقم: ١٢٧٦).

3- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**»(١).

4- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَارَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(٢).

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ أمان الجَامِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(الصِّفَةُ الثَّامِنَةُ: صِفَةُ الرِّضَا: هَذِهِ الصِّفَةُ وَاحِدَةٌ مِنْ صِفَاتِ الأفْعَالِ الَّتِي فَصَّلْنَا فِيهَا القَولَ سَابِقَاً مِثْلِ المَعِيَّةِ والمَحَبَّةِ وغَيْرِهَا، وهيَ ثَابِتَةٌ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ وإجْمَاعِ العُلَمَاءِ الَّذِينَ يُعتَدُّ بإجْمَاعِهِمْ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وغَيْرِهِمْ مِمَّنْ هُمْ في طَبَقَتِهِمْ أو بَعْدَهُم مِنَ الَّذينَ يَنْهَجُونَ مَنْهَجَ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

بَلْ هَذِهِ الصِّفَةُ هيَ مَطْلَبُ كُلِّ عَابِدٍ، وغَايَةُ كُلِّ سَالِكٍ مِنْ طَاعَتِهِم وعِبَادَاتِهِم. ومِنَ الأدِعِيَةِ المَأثورةِ التي يَدعُو بِهَا طُلَّابُ الرِّضَا في أرْجَى الأوقَاتِ ومَظَانِّ إجَابَةِ الدُّعَاءِ «اللَّهُم إنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ والجَنَّةِ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ والنَّارِ» فَالرِّضَى عَنْهُم في دَارِ الكَرَامَةِ وعَدَمُ السَّخَطِ عَلَيهِم بَعْدَ الرِّضَى مَطْلَبٌ

---

(١) أخرجه مسلم بَاب النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ (رقم: ٣٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (بَاب كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) (رقم: ٦٩٦٤)، ومسلم (بَاب إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا) (رقم: ٥٠٥٧)، والتِّرمذي (بَاب مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ) (رقم: ٢٤٧٨).

لَيْسَ بَعْدَهُ مَطْلَبٌ.

وقَدْ تَضَافَرَتِ الأدِلَّةُ مِنَ القُرآنِ والسُّنَّةِ بِذِكْرِ الرِّضَى، أي رِضَى رَبِّ العَالمِينَ عَنْ عِبَادِهِ المُؤمِنينَ لإيمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وحُسْنِ عَبَادَتِهِمْ، وإخْلاصِ العِبَادَةِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَعَدَمِ الالتِفَاتِ إلى سِوَاهُ ﷻ. كَمَا أخْبَرَ اللهُ في كِتَابِهِ عَنْ رِضَى عِبَادِهِ المُؤمِنينَ عَنْ رَبِّهِمْ حِينَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ويُحِلُّ عَلَيْهِمْ رِضْوَانَهُ الَّذي لا يَعْقُبُه السَّخَطُ أبَداً.

فَلْنَذْكُرْ بَعضَ تِلكَ النُّصُوصِ المُشَارِ إليْهَا).اهـ[1].

وقَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثيمِينُ رَحِمَهُ اللهُ:

(وإثْبَاتُ صِفَةِ الرِّضَا للهِ سُبْحَانَه لا يَقْتَضِي انْتِفَاءَ صِفَةِ الحِكْمَةِ، بِخِلافِ رِضَا المَخْلوقِ، فَقَدْ تَنْتَفِي مَعَهُ الحِكْمَةُ، فإنَّ الإنْسَانَ إذا رَضِيَ عَنْ شَخْصٍ مَثَلًا؛ فإنَّ عَاطِفَتَه قَدْ تَحْمِلُهُ عَلَى أنْ يَرْضَى عَنْهُ في كُلِّ شَيءٍ، ولا يَضْبِطُ نَفْسَهُ في معَامَلَتِهِ لشِدَةِ رِضَاهُ عَنْه، قَالَ الشَّاعِرُ:

وعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٍ ... كَمَا أنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

لكِنَّ رِضَا اللهِ مَقْرُونٌ بالحِكْمَةِ، كَمَا أنَّ غَضَبَ الخَالِقِ لَيْسَ كَغَضَبِ المَخْلُوقِ؛ فلا تنْتَفِي الحِكْمَةُ مَعَ غَضَبِ الخَالِقِ، بِخِلافِ غَضَبِ المَخْلوقِ؛ فَقَد يُخْرِجُهُ عَنِ الحِكْمَةِ، فَيَتَصَرَّفُ بِمَا لا يَلِيقُ؛ لِشِدَّةِ غَضَبِهِ.

ومَنْ فَسَّرَ الرِّضَا بالثَّوابِ أو إرادَتِهِ ؛ فَتَفْسِيرُهُ مَرْدودٌ عَلَيْهِ، فإنَّهُ إذا قِيلَ: إنَّ مَعْنَى «رَضِيَ»، أي: أرَادَ أنْ يُثِيبَ، فَمُقْتَضَاهُ أنَّهُ لا يَرْضَى، ولو قَالوا: لا يَرضَى

---

(١) «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه» (١٣/ ٦٨،٦٩). الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ - المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

لَكَفَروا؛ لأَنَّهُمْ نَفَوْهَا نَفْيَ جُحُودٍ، لكِنْ أَوّلُوهَا تأويلًا يَسْتَلزِمُ جَوازَ نَفْيِ الرِّضَا؛ لأَنَّ المَجَازَ مَعْنَاهُ نَفْيُ الحَقِيقَةِ، وهَذَا أمْرٌ خَطِيرٌ جِدًا؛ ولِهَذَا بَيَّنَ شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيمِيَة وابنُ القَيِّم: أَنَّه لا مَجَازَ في القُرآنِ ولا في اللُّغَةِ، خِلافًا لِمَنْ قَالَ: كُلُّ شَيءٍ في اللُّغَةِ مَجَازٌ)[1].

وقَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ آل الشَّيْخِ حَفِظَهُ اللهُ:

((الرِّضَا) صِفَةٌ للهِ جَلَّ وعَلا قَائِمَةٌ بِه يَرْضَى مَتَى شَاءَ كَيْفَ شَاءَ جَلَّ وعَلا.

وَمَنْ قَالَ إنَّ (الرِّضَا) قَدِيمٌ فَلَيْسَ هَذَا مَقُولَةٌ للسَّلَفِ، لَيْسَ هَذَا مَقُولَةٌ للسَّلَفِ.

يَعْنِي يَقُولونَ رِضَاهُ عَنْ فُلانٍ قَدِيمٌ، رِضَاهُ عَنِ المُؤمِنِ قَدِيمٌ، وغَضَبُه عَلى الكَافِرِ قَدِيمٌ لَيْسَ هَذَا بِمَقُولَةٍ للسَّلَفِ، بَلْ هِي مَقُولَةٌ لأَهْلِ البِدَعِ لمَاذَا؟ لأَنَّنَا نَقُولُ: إنَّ اللهَ جَلَّ وعَلا رَضِيَ عَنْ المُؤمِنِ بَعْدَ إيمَانِهِ. فإذا كَفَرَ غَضِبَ عَلَيْهِ. فَيَكُونُ في حَقِّ المُرتَدِّ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ (رَضِيَ) عَنْهُ لمَّا كَانَ مُؤمِنًا و(غَضِبَ) عَلَيْهِ لمَّا ارتَدَّ.

وأولئِكَ - الأَشَاعِرَةُ والمَاتِرِيدِيَّةُ وغَيْرُهُمْ يَقُولونَ (الرِّضَا) قَدِيمٌ، فَمَنْ عَلِمَ اللهُ جَلَّ وَعَلا مِنْهُ أَنَّهُ يُوافِيهِ بالإيمَانِ يَعْنِي يَمُوتُ في الإيمَانِ فَهو رَاضٍ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا.

يَعْنِي خَالِدُ بنُ الوليدِ عِنْدَهُم في أَيَّامِ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ وهو يَرْمِي المُسْلِمينَ بالنبلِ ويَقْتُلُ مَنْ يَقْتُلُ مِنَ المُسلِمِينَ كَانَ إذ ذَلِكَ مَرْضِيًّا عَنْهُ.

أبو سُفيانَ لمَّا قَاتَلَ النَّبيَّ ﷺ في بَدْرٍ وفي أُحُدٍ كَانَ إذ ذَاكَ عِنْدَهُمْ مَرْضِيًا عَنْهُ لمَاذا؟

---

(١) «لقول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (٢/ ٢٩٦،٢٩٧).الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ - دار ابن الجوزي – السعودية.

قَالوا: لأنَّ اللهَ عَلِمَ أنَّه يُوَافِي بالإيمَانِ يَعْنِي يَمُوتُ على الإيمَانِ.

كَذَلِكَ، المُؤمِنُ إذا كَانَ في عِلْمِ اللهِ جَلَّ وعَلا يُوَافِي يَعْنِي يَمُوتُ على الكُفْرِ فإنَّه حَتَّى في حَالِ إيمَانِه فَهُو مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ.

ولا شَكَّ أنَّ هَذَا يَلزَمُ مِنْهُ لوازِمُ باطِلَةٌ، في حَالِ الإيمَانِ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ فَوُفِّقَ إلى أعْمَالٍ كَثِيرَةٍ.

هَل اللهُ يوفِّقُ مَنْ هو مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ؟

يَعْنِي يَلزَمُ عَلى أقْوالِهِمْ لَوازِمُ بَاطِلَةٌ كَثِيرَةٌ، إذَنْ فَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مُهِمَّةٌ لأنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ لا يُدَقِّقُ فِيْهَا وَهِيَ أنَّ (الرِّضَا) و(الغَضَبَ) و(البُغْضَ) و(الكُرْهَ) و(المَقْتَ) و(الأسَفَ) أنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتي سَمِعْتَ الأدلَّةَ فِيهَا هَذِهِ كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ جَلَّ وعَلا، وليْسَ (الرِّضَا) القَدِيمُ عَنْ أولئِكَ.

هَذِهِ الآيةُ وهِي قَولُه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

(رِضَا) اللهِ جَلَّ وعَلا عَنِ العَبْدِ صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ كَمَا ذَكَرْتُ)[1].

*****

الخَطَأُ السَّابِعُ عَشَرَ:

تَأْوِيلُ الرِّجْلِ وَالقَدَمِ بِالْمُتَقَدِّمِ.

قَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (قَوْلُهُ ﷺ: «**فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ**»، وَفِي الرِّوَايَةِ الَّتِي بَعْدَهَا «**لَا تَزَالُ جَهَنَّم تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**» وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى «**فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا**» هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مَشَاهِيرِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ اخْتِلَافِ

(١) «شرح العقيد الواسطية» (١/ ٢٢٠، ٢٢١).

الْعُلَمَاءِ فِيهَا عَلَى مَذْهَبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا بَلْ نُؤْمِنُ أَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ، وَلَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِهَا، وَظَاهِرُهَا غَيْرُ مُرَادٍ.

وَالثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهَا، فَعَلَى هَذَا اِخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ هُنَا الْمُتَقَدِّم، وَهُوَ شَائِعٌ فِي اللُّغَةِ وَمَعْنَاهُ: حَتَّى يَضَعَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا مَنْ قَدَّمَهُ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ، قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي: هَذَا تَأْوِيلُ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ، وَنَحْوِهِ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ قَدَمُ بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ، فَيَعُودُ الضَّمِيرُ فِي قَدَمِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الْمَعْلُومِ. الثَّالِثُ: أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يُسَمَّى بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ، وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا «**يَضَعُ اللهُ فِيهَا رِجْلَهُ**» فَقَدْ زَعَمَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ فَوْرَك أَنَّهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ، وَلَكِنْ قَدْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ فَهِيَ صَحِيحَةٌ وَتَأْوِيلُهَا كَمَا سَبَقَ فِي الْقَدَمِ، وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُرَادُ بِالرِّجْلِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، كَمَا يُقَالُ: رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، أَيْ: قِطْعَةٌ مِنْهُ، قَالَ الْقَاضِي: أَظْهَرُ التَّأْوِيلَاتِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ اِسْتَحَقُّوهَا، وَخُلِقُوا لَهَا، قَالُوا: وَلَا بُدَّ مِنْ صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ الْعَقْلِيِّ عَلَى اِسْتِحَالَةِ الْجَارِحَةِ عَلَى اللهِ تَعَالَى)[1].

التَّعْلِيقُ:

الرِّجْلُ وَالْقَدَمَانِ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ بِصَحِيحِ السُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ**

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٧/ ١٨٢، ١٨٣).

وَسَقَطُهُمْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللهُ ﷻ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»[1].

2- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[2].

3- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ»[3].

4- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَقَالَتِ الْجَنَّةُ يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَقَالَتِ النَّارُ يَعْنِي أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي وَقَالَ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا قَالَ فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ثَلَاثًا حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطْ قَطْ قَطْ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري بَاب (قَوْلِهِ: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾) (رقم: ٤٤٧٢)، ومسلم بَاب (النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ) (رقم: ٥٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (بَاب الْحَلِفِ بِعِزَّةِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ) (رقم: ٦١٦٨)، ومسلم (بَاب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ) (رقم: ٥٠٨٤)، والترمذي (بَاب وَمِنْ سُورَةِ ق) (رقم: ٣١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (بَاب الْحَلِفِ بِعِزَّةِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ) (رقم: ٦١٦٨)، ومسلم (بَاب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ) (رقم: ٥٠٨٥)،

(٤) أخرجه البخاري (بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾)(رقم: ٦٨٩٥).

وصحَّ أنَّ الكُرْسِيَّ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ عَنْ ابْنِ عَباسٍ [(١)]، وأبي مُوسَى [(٢)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ آل الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ:

(النَّاسُ لَهُمْ في الكُرْسِيِّ أَرْبَعَةُ أَقْوالٍ، يَعْنِي غَيْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ:

القَولُ الأَوَّلُ: وَهُوَ قَوْلُ الحَسَنِ وَهُوَ أَنَّ الكُرْسِيَّ هُوَ العَرشُ وهَذَا قَولٌ ضَعِيفٌ، الآثارُ تَرُدُّه كَمَا قُلتُ لَكَ.

القَولُ الثَّاني: أنَّ الكُرْسِيَّ لمَّا ذُكِرَ في آيةٍ واحِدَةٍ هي آيةُ الكُرْسِيِّ في سُورَةِ البَقَرَةِ، أَنَّهُ تَمْثِيلٌ وأنَّهُ ليْسَ ثمَّ حَقِيقَةٌ للكُرْسِيِّ؛ ولكِنْ هُوَ تَمْثِيلٌ لتَقْريبِ عَظَمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وهَذَا هُوَ قَوْلُ الَّذينَ يَنْفُونَ كَثِيرًا مِن الصِّفَاتِ الَّتي تَدُلُّ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ كَقَولِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمر:٦٧]، ونَحوِ ذَلِكَ فَيَقُولونَ: إنَّ هَذَا كُلُه تَخْيِيلٌ؛ بَلْ قَالوا: إنَّ كُلَّ نَصٍ جَاءَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ مِنْ هَذا القَبِيلِ فإنَّه لأجْلِ التَخْيِيلِ لا تُقْصَدُ حَقَائِقَهُ، وإنَّمَا المَقْصُودُ تَعْظِيمُ النَّاسِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وإلا فَهَذِه ليْسَتْ عَلى حَقَائِقِهَا.

وهَذَا القَولُ مَعْروفٌ مِنْ أَقْوالِ المُعتَزِلَةِ وطَائِفَةٍ مِنَ الأَشَاعِرَةِ، ومِنَ المُعَاصِرينَ قرَّرَهُ في تَفْسِيرِهِ سَيدُ قُطْبٍ في ظِلالِ القُرآنِ وجَعَلَهُ قَاعِدَةً كُليَّةً في آخِرِ سُورَةِ الزُّمَرِ عِنْدَ قَولِه تَعَالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٣٩) الطبعة: الثانية – مكتبة ابن تيمية – القاهرة، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٣١١، ٣١٠) الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ – دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت. وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٢) – الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – دار العاصمة، وابن خزيمة في «التوحيد لابن خزيمة» (١/ ٢٤٨، ٢٤٩). وصحَّحه العلَّامة الألباني في «مختصر العلو» (١/ ١٠٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٢٩٦). الطبعة: الأولى: ١٤١٣هـ مكتبة السوادي – جدة – السعودية، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٢٧). وصحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الضعيفة» – تحت الحديث: ٩٠٦.

وفي الحَقِيقَةِ إنَّ القَولَ بأنَّ هَذَا كُلَّهُ عَلى جِهَةِ التَخْييل إلغاءٌ لِكُلِّ الدَّلالاتِ الشَّرْعِيَّةِ للألفَاظِ وإلغَاءٌ لِكُلِّ الغَيْبِيَّاتِ لأنَّه يَكُونُ المَقْصُودُ في كِلِّ هَذَا التَمْثِيل.

وهَذَا القَولُ قَدَّمَهُ الزَمَخْشَرِيُّ في الكَشَّافِ وكَأَنَّه يَمِيلُ إلَيْهِ، وعَلى قَاعِدَتِهِمْ في أنَّ كُلَّ النُّصُوصِ مِنْ هَذَا البَابِ على وجْهِ التَّوهُّمِ وَالتَّخْيِيل.

وهَذَا القَولُ كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ غَلَطٌ عَظِيمٌ؛ لأنَّ مَعْنَاهُ نَفْيُ كُلِّ الأمُورِ الغَيْبِيَّةِ هَذِهِ عَلى هَذِهِ القَاعِدَةِ، فَمَا كَانَ مِنَ الأُمُورِ الغَيْبِيَّةِ يَدُلُّ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وكَانَ فِيهَا تَمْثِيلٌ بأشْيَاءَ مَوجُودَةٍ عِنْدَ البَشَرِ فتُنْفَى ويَكُونُ المَقْصُودُ التَمْثِيلَ لا الحَقِيقَةَ.

القَولُ الثَّالِثُ: أنَّ الكُرْسِيَّ هُوَ العِلْمُ، فَكُرْسِيُّ الرَّحْمَنِ ﷻ هُو عِلْمُهُ، وقَوْلُهُ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يَعْنِي وَسِعَ عِلْمُهُ السَّمواتِ والأرضَ.

وهَذَا القَولُ مَرْوِيٌّ عَنِ ابنِ عَبَاسٍ ولَكِنَّ الصَّحِيحَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ خِلافُ هَذَا القَولِ.

ويُرَدُّ عَلى هَذَا القَولِ بأمورٍ:

١ - أنَّ مَادَّةَ الكُرْسِيِّ للجَمْعِ، والعِلْمُ شَيءٌ آخرُ، هَذَا مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ.

٢ - أنَّ اللهَ ﷻ ذَكَرَ أنَّ الكُرْسِيَّ وسِعَ السَّمواتِ والأرضَ؛ ولكِنَّ عِلْمَهُ ﷻ وسِعَ كُلَّ شَيءٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وعِلْمُ اللهِ ﷻ يَشْمَلُ عِلمَهُ بِذَاتِه ﷻ وبأسْمَائِه وصِفَاتِه وأفْعَالِه وعِلْمَهُ ﷻ الَّذي يَسَعُ السَّمواتِ والأرضَ وعِلْمَهُ ﷻ الَّذي يَسَعُ الجَنَّةَ والنَّارَ وعِلْمَهُ ﷻ بَعْدَ تَغَيُّرِ السَّمواتِ والأرضِ وقَبْلَ خَلْقِ السَّمَواتِ والأرضِ.

فإذاً تَفْسِيرُ الكُرْسِيِّ بأنَّهُ العِلْمُ هَذَا يُضَادُّ أنَّ العِلْمَ يَسَعُ كُلَّ شيءٍ: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً﴾، وأمَّا كُرْسِيُّ الرَّحْمَنِ ﷻ فَقَالَ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٣ - أنَّ قَولَهُمْ إنَّ الكُرْسِيَّ هُوَ العِلْمُ وأنَّ مَادَّةَ تَكَرَّسَ رَاجِعَةٌ إلى العِلْمِ، والعُلَمَاءُ

سُمُّوا كَرَاسيّ لأجْلِ العِلْمِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الاحْتِجَاجَاتِ واحْتِجَاجِهِم بِقَولِ الشَّاعِرِ يَصِفُ قَنْصَهُ لفَرِيسَتِه:

فَلمَّا احْتَازَهَا تكرَّسَا

قَالوا يَعْنِي عَلِمَ.

فَهَذَا مِنَ الجِهَةِ اللُّغَويَّةِ فيه ضَعْفٌ، وذَلِكَ أنَّ العِلْمَ لَيْسَ رَاجِعًا إلى الجَمْعِ والعُلمَاءِ صَحِيحٌ أنَّهُم جَمَعُوا عُلُومَهَمْ لكِنَّ العِلْمَ مِنْ حَيْثُ هو يَحْصُلُ بِتَلَقِّي المَعْلومِ ثُمَّ العِلْمُ بِهِ والمَعْرِفَةُ بِهِ، فَلَيْسَ كُلُّ عِلْمٍ نَاتِجًا عَنْ جَمْعٍ بَلْ يَكُونُ نَاتِجًا عَنْ تَصَورِ الخَبَرِ، فَيَكُونُ مَعْلُومًا لَهُ.

وهَذَا هو المُقَرَّرُ في اللُّغَةِ وعِنْدَ أهْلِ نَظَرِيَّةِ المَعْرِفَةِ، فإنَّ المَرءَ يَعْلَمُ بِدُونِ جَمْعٍ، واللهُ ﷻ وَصَفَ الصَّغِيرَ بِقَوْلِه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ [النحل:٧٨]، فكُلَّمَا عَلِمَ المَخْلوقُ، كُلَّمَا عَلِمَ الصَّغِيرُ شَيْئًا صَارَ عَالِمًا بِهِ ولو لمْ يَجْمَعْهُ إلى غَيْرِه، فَمَادَّةُ الجَمْعِ غَيْرُ مَادَّةِ العِلْمِ، مَادَّةُ الكَرْسِ غَيْرُ مَادَّةِ العِلْمِ والعِلْمُ مَا صَارَ عِلْمًا للجَمْعِ، وإنْ كَانَ العُلمَاءُ سُمُّوا كَرَاسِيّ لأجْلِ جَمْعِهِمُ العِلْمَ.

فإذاً رَاجِعُ تَفْسِيرِ كَلَمَةِ التَّكَرُّسِ إلى كَلَمَةِ الجَمْعِ، واحْتِجَاجُهُم بِقَولِ الشَّاعِرِ كَمَا سَاقَه ابنُ جَرِيرٍ الطَّبَريُّ في تَفْسِيرِه:

فَلمَّا احْتَازَهَا تكرَّسَا

يَدُلُّ على أنَّ التَّكَرُّسَ بِمَعْنى الجَمْعِ لا بِمَعْنى العِلْمِ لِمَ؟

لأنَّه قَالَ (فلمَّا احْتَازَهَا) يَعْني صَارَت في حَوْزَتِه.

(تَكَرَّسَا) وهُو عَلِمَ بأنه قَنَصَهَا لمَّا صَارَت في حَوزَتِه.

يَكُونُ تَكَرُّسُهُ شَيْئًا جَدِيدَاً زَائِداً عَلى مَا حَصَلَ لَه مِنْ الحِيَازَةِ، فالحِيَازَةُ بِها

عِلْمٌ وزَادَ بَعْدَ الحِيَازَةِ أن ضَمَّهَا وجَمَعَهَا إليْهِ.

فإذاً مِنْ حَيْثُ اللُّغَةِ فإنَّ دَلالَة التَّكَرُّسِ عَلى العِلْمِ دَلالَةٌ ضَعِيفَةٌ؛ بَلْ الصَّوابُ أنَّ التَّكَرُّسَ ومَادَةُ كَرَسَ رَاجِعَةٌ إلى الجَمْعِ في اشْتِقَاقَاتِهَا جَمِيعَـًا.

القَوْلُ الرَّابِعُ: أنَّ الكُرْسِيَّ عِبَارَةٌ عَنِ المُلْكِ كَمَا قَالُوا في العَرْشِ، وقَالوا إنَّ الكُرْسِيَّ إذا قِيلَ إنَّ كُرْسيَّ المَلِكِ واسِعٌ فَهَذَا يَدُلُّ عَلى سِعَةِ مُلْكِهِ وعَلى عُلُوِّ شَأنِه وقُوَّتِهِ.

فَيقُولونَ:اللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، يَعْنِي أنَّ سُلطَانَه ومُلْكَهُ وسِعَ السَّمواتِ والأرضَ.

وهَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ أيْضَـًا؛ لأنَّ:

١ - الكُرْسِيَّ مِنْ جِهةِ دَلالَةِ اللُّغَةِ غَيْرُ دَلالَتِه عَلى المُلْكِ.

٢ - أنَّ الكُرْسيَّ مَوصُوفٌ في السُّنَّةِ وفي آثارِ السَّلَفِ بأنَّه غَيْرُ المُلْكِ، فَدَلَّ ذَلِكَ على أنَّ تَفْسِيرَهُ بالمُلْكِ تَفْسِيرٌ حَادِثٌ، والتَّفْسِيرُ الحَادِثُ بَعْدَ زَمَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِم لا يُصَارُ إليْه في تَفْسِيرِ القُرآنِ.

المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ:

وهَذِه المَسْأَلَةُ مُتَّصِلَةٌ بِالعَرْشِ والكُرسِيِّ جَمِيعَـًا، وَهِيَ رَاجِعَةٌ إلى أثَرِ الإيمَانِ بالعَرشِ والكُرْسيِّ.

فالمُؤمِنُ إذا آمَنَ بأنَّ عَرْشَ اللهِ ﷻ حَقٌّ، وأنَّ هَذِه الَّتِي ذُكِرَتْ هي صِفَةُ العَرْشِ، وأنَّ عَرْشَ اللهِ عَظِيمٌ جِداً وأنَّه مَجِيدٌ وأنَّه كَرِيمٌ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ حَدَّثَ عَنْ أحَدِ حَمَلَةِ العَرْشِ بأنَّ مسِيرَةَ مَا بَيْنَ عَاتِقِه إلى شَحْمَةِ أُذُنِه مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَام، وأنَّ السَّمَواتِ بالنِّسْبَة للكُرْسيِّ كَحَلَقَةٍ مُلقَاةٍ في فَلاةٍ مِنَ الأرْضِ، وأنَّ الكُرْسيَّ بالنِّسبَةِ إلى العَرْشِ كَذَلِكَ، وأنَّ الكُرْسيَّ مَوْضِعُ قَدَمَيِ الرَّحمنِ ﷻ، فلا شَكَّ أنَّ هَذا يَؤُولُ بالمُؤمِنِ الحَقِّ إلى اعْتِقَادِ عَظَمَةِ اللهِ ﷻ، وإلى أنَّ اللهَ سُبحَانَه تَتَناهَى المَخْلوقَاتُ عِنْدَه في الصِّغَرِ، وأنَّه ﷻ كَمَا وصَفَ نَفْسَه بِقَولِه: ﴿وَٱلْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾، وجَاءَ في الأثَرِ في تَفْسِيرِ ذَلِكَ أَنَّه يَرْمِي بِهَا يومَ القِيامَةِ كَمَا يَرمِي الصَّغِيرُ بالكُرَةِ فَيقُولُ أَنَا اللهُ الواحِدُ أنا المَلِكُ إلى آخِرِه[1].

فَمعرِفَةُ صِفَةِ الكُرْسِيِّ وصِفَةِ العَرْشِ، ويَبْتَدِئُ المَرءُ مِنْ نَفْسِه الَّتي يُعَظِّمُهَا وكَيفَ هُوَ عَلى هَذِه الأرضِ العَظِيمَةِ جِدًا وهو صَغِيرٌ جِداً جِداً، هَذِه الأرضُ، حَتَّى إنَّ المُدُنَ الكِبَارَ إذا صَعِدْتَ بالطَّائِرَةِ تَراهَا صَغِيرَةً جِداً وهِي تَحْوي مَلايينَ النَّاسِ، فكَيْفَ بالفَردِ، والأرضُ هَذِه بالنِّسبَةِ للسَّمَاواتِ صَغِيرَةٌ، والسَّماواتُ السَّبْعُ على سِعَتِهَا وعِظَمِ ما فِيها مِن الأفلاكِ والنُّجومِ والسَّيَّاراتِ بالنِّسبَةِ للكُرْسِيِّ صَغِيرَةٌ كَحَلَقَةٍ مُلقَاةٍ في فَلاةٍ مِنَ الأرضِ، وَالكُرْسيُّ بالنِّسبَةِ إلى العَرْشِ كَذَلِكَ، واللهُ ﷻ فَوقَ العَرْشِ مُسْتَغنٍ عَنِ العَرشِ، وكُلُّ شَيءٍ مُحْتَاجٌ إلَيْهِ، واللهُ سُبْحَانَه مُحِيطٌ بكُلِّ شَيءٍ إحَاطَةَ سِعَةٍ وقُدرَةٍ وذَاتٍ وشُمُولٍ جَلَّ جَلالُه وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ فإنَّ المَرءَ ولاشَكَّ يُصِيبُه بَلْ يَحْصُلُ لَهُ في قَلْبِه نَوعٌ عَظِيمٌ مِنَ الذُّلِّ للهِ ﷻ، ونَوعٌ عَظِيمٌ مِنَ احْتِقَارِ النَّفْسِ ومَعرِفَةِ قَدْرِ الإنسانِ كَيْفَ هو، وأنَّهُ شُرِّفَ أعْظَمَ تَشرِيفٍ

---

(١) أخرجه ابن منده «الرد علىٰ الجهمية» - تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي - المكتبة الأثرية (١٣/ ٤٣) ، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٦١)، وأخرجه الطبري «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٢٥) ، وابن القيم في «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» ط:دار العاصمة – الرياض - الطبعة الثالثة ١٤١٨.

- وهذا إسناد الطبري رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا الربيع، قال: ثنا ابن وهب، قال: أخبرني أُسامة بن زيد، عن أبي حازم، عن عبد الله بن عمر، أنه رأىٰ رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، علىٰ المنبر يخطب الناس، فمر بهذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ فقال رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «يَأْخُذُ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فَيَجْعَلُهَا في كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ بِهِما كمَا يَقُولُ الغُلامُ بالكُرَةِ: أنا اللهُ الوَاحِدُ، أنا اللهُ العَزِيزُ»حتىٰ لقد رأينا المنبر وإنه ليكاد أن يسقط به. وهذا إسناد ابن منده: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بِمِصْرَ، ثنا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثنا ابْنُ وَهْبٍ، ثنا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَالْأَرَضِينَ فَيَجْعَلُهَا فِي كَفَّيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ بِهِمْ هَكَذَا، كَمَا يَقُولُ الْغُلَامُ بِالْكُرَةِ: أَنَا اللهُ الْوَاحِدُ، أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ».

أَنْ جَعَلَه اللهُ ﷻ عَبدَاً لَه سُبْحَانَه، ولِهَذا يَنْظُرُ المَرءُ إلى عِظَمِ المَخْلوقَاتِ هَذِه ويُؤمِنُ بِهَا فيُعَظِّمُ اللهَ ﷻ.

حَقِيقَةَ الإيمانُ بأسْماءِ اللهِ ﷻ وصِفَاتِه يُثْمِرُ ثَمَراتٍ عَمَلِيَّةٍ في القَلبِ مِنْ وَجَلِ القُلوبِ، من إجْلالِ اللهِ ﷻ وحُبِّ القُلوبِ لجَمالِ اللهِ ﷻ وأنواعِ ما يَحدُثُ في القَلبِ مِنَ الإيمانِ و مَدارِجِ الإيمانِ الَّتِي تَتَّصِلُ بالإيمانِ بالأسْمَاءِ والصِّفَاتِ، كَذَلِكَ الإيمانُ بالجَنَّةِ والنَّارِ، كَذَلِكَ الإيمَانُ بالعَرْشِ والكُرْسِيِّ لمنْ تَأمَّلَهُ فإنَّهُ يَجْعَلُ القَلبَ خَاضِعَاً لربِّنَا ويَجْعَلُ القَلبَ مُخْبِتَاً مُنِيبَاً للهِ ﷻ فإنْ غَفَلَ جَاءَه تَعْظِيمُه وإيمَانُه وعَقِيدَتُه بالإنَابَةِ السَّرِيعَةِ بالاستغفَارِ الحَقِّ.

إذاً حِينَ نَبحَثُ هذه المَبَاحِثَ في العَقِيدَةِ ليْسَتْ كَمَا يَبْحَثُهَا أهلُ الكَلامِ المَذْمُومِ في كَونِهَا أشْياءَ لا ثَمَرَةَ لهَا على الإيمَانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ وتَعَبُّدِ المَرْءِ للهِ ﷻ، فإنَّ كُلَّ شَيءٍ وَصَفَهُ اللهُ ﷻ لنا مِنَ الأُمُورِ الغَيْبِيَّةِ لم يُقْصَدْ إيمَانُنا بِهِ واعتِقَادُنَا لَه مِنْ جِهَةِ الوجُودِ دونَ جِهَةِ الإيمانِ وما يُثْمِرُ مِنْه؛ بل قُصِدَ الإيمانُ به -يَعْني بوجودِه وأثرُ الإيمانِ الذي يُحْدِثُهُ في النَّفْسِ- لأنَّ المَقْصودَ إصلاحُ القُلوبِ باللهِ ﷻ.

وأنتَ سَمعْتَ قَولَ أولئِكَ من المُعتَزِلَةِ وطَوائِفَ من المُبتَدِعَةِ إنَّ هَذِه الأشْياءَ تَمثِيلٌ لأجْلِ إصْلاحِ النَّاسِ وإيمَانِهِم بعَظَمَةِ اللهِ ﷻ، والواقِعُ أنَّنا إذا قُلنَا بِمَا جَاءَ في الأدِلَّةِ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ فإنَّهَا في تَحْصِيلِ الإيمانِ وفي إحدَاثِ الإيمانِ في النُّفوسِ وتَقويَةِ الإيمانِ أعَظمُ من أنْ تَكُونَ للتَمثِيلِ؛ لأنَّ ذِكْرَهَا على الحَقِيقَةِ وعلى هَذِهِ الصِّفَاتِ يَجْعَلُ المَرءَ على الحَقِيقَةِ يَتَصَورُ كَيْفَ هَذِه المَخْلوقَاتُ جَمِيعَاً والأرضُ هَذِهِ الكَبِيرَةُ ومَا فِيهَا ثُمَّ السَّمواتُ ثمَّ الكُرْسِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ ثُمَّ العَرشُ ثُمَّ المَلائِكَةُ الحَافِّينَ مِنْ حَولِ العَرشِ لاشَكَّ يُحْدِثُ لَهُ

أنواعٌ[1] مِنْ الإيمانِ والوجَلِ والخَوفِ وحُبِّ اللهِ ﷻ وتَعظِيمِهِ والإنَابَةِ إليْهِ، وهَذَا لاشَكَّ كُلُّهُ مِنَ المَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ.

فإذاً الإيمانُ بِهذِه يَحْتَاجُ مِنْكَ إلى تَأمُّلٍ وتَدَبُّرٍ في أنْ تُعْمِلَ في قَلبِكَ هَذِه الأشَياءَ وتَتَذَكَّرَ عَظَمَةَ اللهِ ﷻ)[2].

وقَالَ حَفِظَهُ اللهُ (المَسْألةُ الثَّانِيةُ: اسْتِغنَاؤهُ ﷻ عَنْ العَرشِ ومَا دونَه يَقْتَضِي أنَّ العَرشَ ومَا دونَهُ مُحتَاجٌ إليْهِ ومُفْتَقِرٌ إلى الرَّبِّ ﷻ، وهَذَا لَهُ جِهَتَانِ:

١ - الجِهَةُ الأولى: أنَّ العَرشَ وما دونَهُ مُفْتَقِرٌ للهِ ﷻ؛ لأنَّهُ لا قَوَامَةَ لَهُ ولا قيامَ لَهُ بِنَفْسِهِ، فَهو مَحْمُولٌ، لَه قَوائِمٌ كَمَا مَرَّ مَعَنَا في وصْفِهِ، وَهُوَ مَحْمولٌ وَالَّذي يَحْمِلُه خَلْقٌ سَخَّرَهُمُ اللهُ ﷻ لِحَمْلِه وأقْدَرَهُمْ على ذَلِكَ، فقُدْرَتُهُم في حَمْلِ العَرْشِ واسْتِقَرارِهِ وفي بَقَائِه وقِيامِه إنَّمَا هو بِقدرَةِ اللهِ ﷻ، فَهَذا نَوعٌ من الحَاجَةِ.

٢ - الجِهَةُ الثَّانِيةُ: أنَّ كلَّ شَيءٍ عَبْدٌ للهِ ﷻ، ومِنْ ذَلِكَ العَرشُ، فالعَرشُ مِنْ مَخْلوقَاتِ اللهِ التي تَعْبُدُهُ وتُسَبِّحُهُ وتذِلُّ لَهُ ﷻ، وكَذَلِكَ حَمَلَةُ العَرشِ، وكَذَلِكَ مَنْ في السَّمواتِ ومَنْ في الأرضِ، وكَذَلِكَ مَا في السَّمواتِ ومَا في الأرضِ، وقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم:٩٣]، وَقَالَ أيضاً: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ ﴾ هَذِهِ نكِرَةٌ جَاءَتْ في سِياقِ النَّفي بـ(إنْ)، لأَنْ (إنْ) هُنْا بِمَعنَى مَا وَ(إلَّا) بَعْدَهَا حَاصِرَةٌ أو قَاصِرَةٌ، فَيَكُونُ المَعْنَى: مَا مِنْ شَيءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ.

والعَرشُ شَيءٌ، وتَسْبِيحُهُ بِحَمْدِ اللهِ ﷻ نَوعٌ مِنْ الذُّلِّ والعُبُوديَّةِ لَهُ ﷻ، والعُبُودِيَّةُ

---

(١) كذا بالأصل ، ولعلَّ الصَّواب «أنواعاً».

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»(١/ ٤٦٦ - ٤٧٣).

والذُّلُّ مَعْنَىً مِنْ مَعَانِي الافْتِقَارِ إلى الرَّبِ – جَلَّ جَلالُه – وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤهُ.

وفي هَذَا تَنْبِيهٌ للعِبَادِ بِعَامَّةٍ أنَّ هَذَا المَخْلوقَ العَظِيمَ الذي الكُرْسيُّ بالنِّسبَةِ إليْه كَالحَلَقَةِ المُلقَاةِ في فَلاةٍ مِنْ الأرضِ، (والكُرسيُّ) السَّمواتُ السَّبْعُ بالنِّسبَةِ إليْه كَمَا جَاءَ في كَلامِ السَّلَفِ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلقِيَتْ في تُرْسٍ أو كَحَلَقَاتٍ أُلقِيَتْ في تُرْسٍ، والأرضُ صَغِيرَةٌ بالنِّسبَةِ للسَّمواتِ، فإنَّ هَذَا يَعْنِي أنَّكَ أيُّهَا العَبْدُ أيُّهَا الإنْسَانُ المَخْلوقُ الضَّعِيفُ الَّذي تَعرِفُ ضَعفَكَ، تَنْظُرُ إلى العَرْشِ الَّذي هُوَ مُفْتَقِرٌ إلى اللهِ ﷻ مُسَبِّحٌ ذالٌّ مُنِيبٌ إلى رَبِّه ﷻ، كَيْفَ أنَّهُ لا يَسْتَغْنِي عَنْ مَولاهُ، وكَيْفَ أنَّه يُسَبِّحُ ويَحمَدُ ويَذِلُّ للهِ ﷻ، فَهَذَا المَخْلوقُ الضَّعِيفُ جِدًا الذي هُوَ الإنْسَانُ وابْتُلِيَ بالتَّكلِيفِ لاشَكَّ أنَّهُ أوْلَى بالذُّلِّ للهِ؛ لأنَّهُ ضَعِيفٌ جِداً ومُفْتَقِرٌ للغَايَةِ.

فإذاً النَّظَرُ إلى العَرْشِ وفَقْرِ العَرْشِ إلى اللهِ ﷻ، وأنَّ قَوامَةَ العَرشِ على عِظَمِهِ وعِظَمِ خَلْقِ السَّمواتِ وضَعْفِ نِسْبَةِ خَلْقِ السَّمواتِ إلى العَرْشِ جِداً، كَيْفَ الإنْسَانُ يَنْظُرُ إلى نَفْسِهِ لاشَكَّ أنَّهُ يَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا في قَلْبِهِ وعَمَلِهِ أنَّهُ أوْلىَ بالافْتِقَارِ إلى اللهِ وأوْلَى بالذُّلِّ إلى اللهِ، وأوْلى بالعُبُودِيَّةِ للهِ – جَلَّ جَلالُه – وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ وهَذَا مِنْ ثَمَراتِ التَّفَكُّرِ الشَّرْعِيَّ والنَّظَرِ في مَلكوتِ السَّمواتِ والأرضِ، والنَّظَرِ أيْضَاً فيمَا ذَكَرَ اللهُ ﷻ في كِتَابِهِ مِنْ أنْواعِ خَلْقِهِ الَّتي لم نَرَ ومِنْهَا عَرْشُهُ – جَلَّ جَلالُهُ – وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ)[1].

*****

الخَطَأُ الثَّامِنُ عَشَرَ:

تأويلُ النَّظَرِ بِالرَّحْمَةِ واللُّطْفِ والمُجَازَاةِ والمُحَاسَبَةِ:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (مَعْنَى «لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ»: أَيْ: يُعْرِضُ عَنْهُمْ. وَنَظَرُهُ ﷻ لِعِبَادِهِ

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٤٧٧ – ٤٧٩).

رَحْمَتُهُ وَلُطْفُهُ بِهِمْ)[1].

وقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (مَعْنَى «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ»: أَيْ لَا يَرْحَمُهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظَرَ رَحْمَةٍ)[2].

و قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (مَعْنَى نَظَرِ اللهِ هُنَا: مُجَازَاتُهُ وَمُحَاسَبَتُهُ)[3].

التَّعْلِيقُ:

النَّظَرُ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: 77].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾**[4].

2- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ**»[5].

3- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٢/ ١١٦).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»(١٤/ ٦١).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٦/ ١٢١).

(٤) أخرجه البخاري (بَاب إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنْ الْمَاءِ) (رقم: ٢١٨٦).

(٥) أخرجه البخاري بَاب (قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾) (رقم: ٥٣٣٧)، ومسلم بَاب (تَحْرِيمِ جَرِّ الثَّوْبِ خُيَلَاءَ وَبَيَانِ حَدِّ مَا يَجُوزُ إِرْخَاؤُهُ إِلَيْهِ وَمَا يُسْتَحَبُّ) (رقم: ٣٨٨٧).

وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قُلْنَا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا فَقَالَ الْمَنَّانُ وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» (١).

4- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» (٢).

قَالَ العَلَّامَةُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي العِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَإِنَّ النَّظَرَ لَهُ عِدَّةُ اسْتِعْمَالَاتٍ، بِحَسَبِ صِلَاتِهِ وَتَعَدِّيهِ بِنَفْسِهِ: فَإِنْ عُدِّيَ بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ: التَّوَقُّفُ وَالِانْتِظَارُ، ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الْحَدِيد: ١٣]. وَإِنْ عُدِّيَ بِـ«فِي» فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٨٥]. وَإِنْ عُدِّيَ بِـ«إِلَى» فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿انظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الْأَنْعَام: ٩٩]) (٣).

وقَالَ الشَّيخُ صَالِحُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ آل الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ:

(وَمِنْ أَدِلَّتِهِمْ أَنَّهُم قَالوا: إنَّ النَّظَرَ في القرآنِ وفي اللُّغَةِ يُفِيدُ الانْتِظَارَ، وَهُوَ أَصْلُهُ، وليْسَ أَصْلُ النَّظَرِ الرُّؤيةُ، فالآياتُ التي فِيها ذِكْرُ النَّظَرِ تُفِيدُ الانْتِظارَ.

فَقَولُه ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ يَعْنِي فَهلْ يَنْتَظِرونَ، وقَولُه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]؛ يَعْنِي: مُنْتَظِرَةً الفَرَجَ، ويَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِقَولِ الشَّاعِرِ:

---

(١) أخرجه الترمذي (بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ حَلَفَ عَلَىٰ سِلْعَةٍ كَاذِبًا) (رقم: ١١٣٢)، وصحَّحه العلَّامة الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) أخرجه مسلم (بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ) (رقم: ٤٦٥١)، وابن ماجه (بَاب الْقَنَاعَةِ) (رقم: ٤١٣٣).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ١٥٤، ١٥٥). الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨ هـ - وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وُجُــوهٌ يَــوْمَ بَــدْرٍ نَــاظِرَاتٌ إِلَــى الــرَّحْمَنِ يَــأْتِي بِــالفَلَاحِ

«نَاظِراتٌ إلى الرَّحمَنِ». قَالوا: مَعْنَاهَا مُنْتَظِراتٌ.

وهَذَا القَولُ في الاسْتِدلالِ بمَعْنَى النَّظَرِ والإتيانِ عَلَيْهِ بِهَذا الشَّاهِدِ اللُّغَوي لَيْسَ على مَا قَالوا، وذَلِكَ أنَّ اللُّغَةَ فِيهَا أَفْعَالٌ تَخْتَلِفُ بالتَّعبيرِ كَثيرَةٌ جِداً، فَيَكُونُ للفِعْلِ مَعَانٍ مُتَعَدِدَةٌ مُخْتَلِفَةٌ بأنْواعِ التَّعْبِيرِ، ومِنْهَا فِعْلُ:

انْتَظَرَ ونَظَرَ، ومَصْدَرُ ذَلِكَ واسْمُ الفَاعِلِ نَاظِرٌ.

وتَبَيِينُ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ -كَمَا أوضَحَهُ الشَّارِحُ وغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ- أَنَّ كَلِمَةَ النَّظَرِ وَمَا اشْتُقَّ مِنْهَا:

تَارَةً تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا فَيَكُونُ المَعْنَى الانْتِظَارُ؛ يَعْنِي تَصِلُ إلى المَفْعولِ بِنَفْسِهَا فَيَكُونُ مَعْنَاهُ الانْتِظَارُ.

- وتارَةً تَتَعَدَّى بـ (في) فَيكُونُ المَعْنَى التَّفَكُّرَ والاعْتِبَارَ.

- وتارَةً تَتَعَدَّى بـ (إلى) فَيكُونُ المَعْنَى الرَّؤيَةَ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الرُّؤيةِ الانْتِظَارُ بِحَسَبِ السِّيَاقِ، لَكِنْ لا يُمْكِنُ أَنْ تَتَعَدَّى بـ (إلى) ويَكُونُ انْتِظَاراً بلا رؤيَةٍ، لا يُمْكِنُ، ولمْ يأتِ في أي شَاهِدٍ في لُغَةِ العَرَبِ ولا في القُرآنِ ولا في السُّنَّةِ أنَّ النَّظَرَ يَتَعَدَّى بـ (إلى) ويَكُونُ مَعْنَاهُ الانْتِظَارُ المُجَرَّدُ مِنَ الرُّؤيةِ، بَلِ النَّظَرُ إذا تَعَدَّى بـ (إلى) صَارَ مَعْنَاهُ الرُّؤيَةَ، وقَدْ يَكُونُ على قِلَّةٍ مَعَ الرُّؤيَةِ الانْتِظَارُ، وهَذَا لَه نَظَائِرُ في اللُّغَةِ يَطُولُ الكَلامُ بِبَيانِهَا)[(١)].

*****

الخَطَأُ التَّاسِعُ عَشَرَ:

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ١٥١، ١٥٢).

تَأْوِيلُ المَحَبَّةِ بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ وَالتَّنْعِيمِ، أَوْ نَفْسُ الثَّوَابِ وَالتَّنْعِيمِ، أَوِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضَا:

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (قَالَ الْمَازِرِيُّ: مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ إِرَادَةُ ثَوَابِهِمْ وَتَنْعِيمِهِمْ، وَقِيلَ: مَحَبَّتُهُ لَهُمْ نَفْسُ الْإِثَابَةِ وَالتَّنْعِيمِ لَا الْإِرَادَة)[1] .

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (قَوْلُهُ: «بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَحَبَّةُ اللهِ عَبْدَهُ هِيَ رَحْمَتُهُ لَهُ، وَرِضَاهُ عَنْهُ، وَإِرَادَتُهُ لَهُ الْخَيْرَ، وَأَنْ يَفْعَلَ بِهِ فِعْلَ الْمُحِبِّ مِنَ الْخَيْرِ. وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ فِي حَقِّ الْعِبَادِ مَيْلُ الْقَلْبِ، وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ)[2] .

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ («بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَمَرَ جِبْرِيلَ فَأَحَبَّهُ وَأَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» وَذَكَرَ فِي الْبُغْضِ نَحْوَهُ. قَالَ: الْعُلَمَاءُ: مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ هِيَ إِرَادَتُهُ الْخَيْرَ لَهُ، وَهِدَايَتُهُ، وَإِنْعَامُهُ عَلَيْهِ، وَرَحْمَتُهُ وَبُغْضُهُ إِرَادَةَ عِقَابِهِ أَوْ شَقَاوَتَهَ، وَنَحْوُهُ وَحُبُّ جِبْرِيلَ وَالْمَلَائِكَةِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا اِسْتِغْفَارُهُمْ لَهُ، وَثَنَاؤُهُمْ عَلَيْهِ، وَدُعَاؤُهُمْ. وَالثَّانِي أَنَّ مَحَبَّتَهُمْ عَلَى ظَاهِرِهَا الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ، وَاشْتِيَاقُهُ إِلَى لِقَائِهِ)[3] .

التَّعْلِيقُ:

الْحُبُّ وَالْمَحَبَّةُ صِفَاتٌ فِعْلِيَّةٌ اخْتِيَارِيَّةٌ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثَابِتَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

1 - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

2 - وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٦/ ٩٦).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٦/ ١٢٤).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٦/ ١٨٤).

وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤].

3- وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

4- وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨].

5- وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف:٤].

6- وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [آل عمران:٧٦].

7- وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

8- وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة:٤٢].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

1- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ﷺ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ ﷺ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوْ قَالَ لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفَتَحَ

اللهُ عَلَيْهِ»[1].

2- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»[2].

3- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**» فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**»[3].

4- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِذَا قَالَ هَا ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ**»[4].

5- عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ

---

(١) أخرجه البخاري (بَاب مَا قِيلَ فِي لِوَاءِ النَّبِيِّ ﷺ) (رقم: ٢٧٥٣)، ومسلم (بَاب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه) (رقم: ٤٤٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ...) (رقم: ٢٩٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (بَاب الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ) (رقم: ٥٥٦٥)، والترمذي (بَاب مَا جَاءَ فِي التَّسْلِيمِ عَلَىٰ أَهْلِ الذِّمَّةِ) (رقم: ٢٦٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (بَاب مَا يُسْتَحَبُّ مِنْ الْعُطَاسِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْ التَّثَاؤُبِ) (رقم: ٥٧٥٥)، وأبو داود (بَاب مَا جَاءَ فِي التَّثَاؤُبِ) (رقم: ٤٣٧٣)، والترمذي (بَاب مَا جَاءَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ) (رقم: ٢٦٧٠).

اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ**»[(١)].

6- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**»[(٢)].

7- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ سَمْحَ الشِّرَاءِ سَمْحَ الْقَضَاءِ**»[(٣)].

8- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(٤)].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ:

(فَإِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ: أَثْبَتَتْ مَحَبَّةَ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَبَّتَهُمْ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**». وَقَدْ أَجْمَعَ سَلَفُ

---

(١) أخرجه مسلم (كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ) (رقم: ٥٢٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (بَاب مَا جَاءَ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ) (رقم: ٢٧٤٤). قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وقال العلَّامة الألبانيُّ: حسن صحيح. «غاية المرام» (٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (بَاب مَا جَاءَ فِي اسْتِقْرَاضِ الْبَعِيرِ أَوْ الشَّيْءِ مِنْ الْحَيَوَانِ أَوْ السِّنِّ) (رقم: ١٢٤٠). وصحَّحه العلَّامة الألبانيُّ في «الصحيحة» (رقم:٨٩٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ) (رقم: ١٣١)، والترمذي (بَاب مَا جَاءَ فِي الْكِبْرِ) (رقم: ١٩٢٢).

الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى إِثْبَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ)[1].

قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ خَلِيل هَرَّاس رَحِمَهُ اللهُ:

(تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ إِثْبَاتَ أَفْعَالٍ لَهُ تَعَالَى نَاشِئَةٍ عَنْ صِفَةِ الْمَحَبَّةِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ ﷻ لِبَعْضِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ صِفَةٌ لَهُ قَائِمَةٌ بِهِ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ الِاخْتِيَارِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، فَهُوَ يُحِبُّ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ دُونَ بَعْضٍ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ.

وَيَنْفِي الْأَشَاعِرَةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ صِفَةَ الْمَحَبَّةِ؛ بِدَعْوَى أَنَّهَا تُوهِمُ نَقْصًا؛ إِذِ الْمَحَبَّةُ فِي الْمَخْلُوقِ مَعْنَاهَا مَيْلُهُ إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ أَوْ يَسْتَلِذُّهُ.

فَأَمَّا الْأَشَاعِرَةُ؛ فَيُرْجِعُونَهَا إِلَى صِفَةِ الْإِرَادَةِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ لِعَبْدِهِ لَا مَعْنَى لَهَا إِلَّا إِرَادَتُهُ لِإِكْرَامِهِ وَمَثُوبَتِهِ.

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي صِفَاتِ الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَالْكَرَاهِيَةِ وَالسَّخَطِ؛ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى إِرَادَةِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ؛ فَلِأَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ إِرَادَةً قَائِمَةً بِهِ، فَيُفَسِّرُونَ الْمَحَبَّةَ بِأَنَّهَا نَفْسُ الثَّوَابِ الْوَاجِبِ عِنْدَهُمْ عَلَى اللهِ لِهَؤُلَاءِ؛ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي وُجُوبِ إِثَابَةِ الْمُطِيعِ وَعِقَابِ الْعَاصِي.

وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ؛ فَيُثْبِتُونَ الْمَحَبَّةَ صِفَةً حَقِيقِيَّةً لِلَّهِ ﷻ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، فَلَا تَقْتَضِي عِنْدَهُمْ نَقْصًا وَلَا تَشْبِيهًا. كَمَا يُثْبِتُونَ لَازِمَ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ، وَهِيَ إِرَادَتُهُ سُبْحَانَهُ إِكْرَامَ مَنْ يُحِبُّهُ وَإِثَابَتَهُ.

وَلَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا يُجِيبُ النَّافُونَ لِلْمَحَبَّةِ عَنْ مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: « **إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا؛ قَالَ لِجِبْرِيلَ** عليه السلام: **إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَقُولُ**

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٥٤).

جِبْرِيلُ عليه السلام لِأَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ رَبَّكُمْ ﷻ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَهُ فَمَثِيلُ ذَلِكَ»، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ؟!

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى: (وَأَحْسِنُوا) أَمْرٌ بِالْإِحْسَانِ الْعَامِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لَا سِيَّمَا فِي النَّفَقَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَالْإِحْسَانُ فِيهَا يَكُونُ بِالْبَذْلِ وَعَدَمِ الْإِمْسَاكِ، أَوْ بِالتَّوَسُّطِ بَيْنَ التَّقْتِيرِ وَالتَّبْذِيرِ، وَهُوَ الْقَوَامُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ.

رَوَى مُسْلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ) عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ** ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فَهُوَ تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الْإِحْسَانَ مُوجِبٌ لِمَحَبَّتِهِ؛ سَارَعُوا إِلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ بِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: (وَأَقْسِطُوا)؛ فَهُوَ أَمْرٌ بِالْإِقْسَاطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُتَنَازِعَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مِنْ قَسَطَ إِذَا جَارَ، فَالْهَمْزَةُ فِيهِ لِلسَّلْبِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الْمُقْسِطُ.

وَفِي الْآيَةِ الْحَثُّ عَلَى الْعَدْلِ وَفَضْلُهُ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللهِ ﷻ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾؛ فَمَعْنَاهُ: إِذَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَحَدٍ عَهْدٌ كَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ عَلَى عَهْدِهِمْ مُدَّةَ اسْتِقَامَتِهِمْ لَكُمْ، فَـ (مَا) هُنَا مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ.

ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أَيْ: يُحِبُّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ عَدَمُ نَقْضِ الْعُهُودِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾... إِلَخْ؛ فَهُوَ إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ ﷻ عَنْ مَحَبَّتِهِ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُمُ التَّوَّابُونَ؛ أَيْ: الَّذِينَ يُكْثِرُونَ التَّوْبَةَ وَالرُّجُوعَ إِلَى اللهِ ﷻ

بِالِاسْتِغْفَارِ مِمَّا أَلَمُّوا بِهِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ صِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ، فَهُمْ بِكَثْرَةِ التَّوْبَةِ قَدْ تَطَهَّرُوا مِنَ الْأَقْذَارِ وَالنَّجَاسَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَهُمُ الْمُتَطَهِّرُونَ الَّذِينَ يُبَالِغُونَ فِي التَّطَهُّرِ، وَهُوَ التَّنْظِيفُ بِالْوُضُوءِ أَوْ بِالْغُسْلِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالنَّجَاسَاتِ الْحِسِّيَّةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمُتَطَهِّرِينَ هُنَا الَّذِينَ يَتَنَزَّهُونَ مِنْ إِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ أَوْ فِي أَدْبَارِهِنَّ، وَالْحَمْلُ عَلَى الْعُمُومِ أَوْلَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا أَنَّ قَوْمًا ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ مِحْنَةً لَهُمْ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ شَرَطَ اللهُ لِمَحَبَّتِهِ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَلَا يَنَالُ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ إِلَّا مَنْ أَحْسَنَ الِاتِّبَاعَ وَالِاسْتِمْسَاكَ بِهَدْيِهِ عليه السلام)[1].

*****

الخَطَأُ العِشْرُونَ:

تَأْوِيلُ الكَفِّ بِقَبُولِ الصَّدَقَةِ، أَوْ كَفُّ الَّذِي تُدْفَعُ إِلَيْهِ الصَّدَقَةُ.

قَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (قَالَ الْمَازِرِيُّ: قَدْ ذَكَرْنَا اسْتِحَالَةَ الْجَارِحَةِ عَلَى اللهِ ﷻ، وَأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَشِبْهَهُ إِنَّمَا عَبَّرَ بِهِ عَلَى مَا اعْتَادُوا فِي خِطَابِهِمْ لِيَفْهَمُوا، فَكَنَّى هُنَا عَنْ قَبُولِ الصَّدَقَةِ بِأَخْذِهَا فِي الْكَفِّ، وَعَنْ تَضْعِيفِ أَجْرِهَا بِالتَّرْبِيَةِ، فَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: لَمَّا كَانَ الشَّيءُ الَّذِي يُرْتَضَى وَيُعَزُّ يُتَلَقَّى بِالْيَمِينِ وَيُؤْخَذُ بِهَا اسْتُعْمِلَ فِي مِثْلِ هَذَا، وَاسْتُعِيرَ لِلْقَبُولِ وَالرِّضَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

قَالَ: وَقِيلَ عَبَّرَ بِالْيَمِينِ هُنَا عَنْ جِهَةِ الْقَبُولِ وَالرِّضَا إِذِ الشِّمَالُ بِضِدِّهِ فِي

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (ص: ٩٩ - ١٠٥).

هَذَا. قَالَ: وَقِيلَ الْمُرَادُ بِكَفِّ الرَّحْمَنِ هُنَا وَيَمِينِهِ كَفُّ الَّذِي تُدْفَعُ إِلَيْهِ الصَّدَقَةُ، وَإِضَافَتُهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى إِضَافَةُ مِلْكٍ وَاخْتِصَاصٍ لِوَضْعِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ فِيهَا لِلَّهِ ﷻ)[1].

التَّعْلِيقُ:

الْكَفُّ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

1- عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**»[2].

2- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: «احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: **عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى قُلْتُ لَا أَدْرِي رَبِّ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ**

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٧/ ٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (بَاب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنْ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا) (رقم: ١٦٨٤)، والترمذي (بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ) (رقم: ٥٩٧)، وابنُ ماجه (بَاب فَضْلِ الصَّدَقَةِ) (رقم: ١٨٣٢).

لَبَّيْكَ رَبِّ قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى قُلْتُ فِي الْكَفَّارَاتِ قَالَ مَا هُنَّ قُلْتُ مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ قَالَ ثُمَّ فِيمَ قُلْتُ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَلِينُ الْكَلَامِ وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ قَالَ سَلْ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (بَاب وَمِنْ سُورَةِ ص) (رقم: ٣١٥٩)، وقَالَ الترمذي: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَعِيلَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

والحديث ضعَّفه العلَّامة الألبانيُّ في «ضعيف الجامع» (رقم:١٢٣٣)، ثمَّ صحَّحه في «المشكاة» (رقم: ٧٤٨) و «صحيح الجامع» (٥٩) و«صحيح الترغيب» (رقم: ٤٠٨) و«الصحيحة» (رقم:٣١٦٩).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٧/ ٥٠٤ - ٥٠٦): وقد جاء الحديث من طرق أخرىٰ، صحح بعضها البخاري والترمذي، وفيها أن ذلك كان رؤيا منامية، وذلك مما يؤكد شذوذ تلك الزيادة فتنبه! وراجع بعض تلك الطرق في ظلال الجنة (٣٨٨١ و٤٦٥ - ٤٧١).

وقد خلط ابن الجوزي خلطاً عجيباً بين هذه الأحاديث الصحيحة التي فيها اختصام الملأ الأعلىٰ، وفي بعضها أنها رؤيا منامية- كما عرفت-، وبين بعض الأحاديث الموضوعة التي فيها أنه رأىٰ ربَّه علىٰ الأرض بمنىٰ علىٰ جمل أورق، ونحوه من الموضوعات، وقد خرجت بعضها في الضعيفة (رقم: ٦٣٣٠)، وقلده في ذلك الجهمي الجلد المتعنت المسمىٰ بـ (حسن السقاف) في تعليقه علىٰ دفع شبه التشبيه؛ الذي دفعه الذهبي وتمنىٰ أنه لم يؤلفه مؤلفه؛ لما فيه من التأويلات المعطلة للصفات الإلهية حتىٰ ذكر أن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، تعالىٰ الله الذي علىٰ العرش استوىٰ استواءً يليق بجلاله وعظمته.

ثم رأيت الطبراني قد أخرج الحديث مختصراً في المعجم الكبير (٨/ ٣٨٦/ ٨٢٠٧) والأوسط (٢/ ٣٦/ ١/ ٥٦٢٦): حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة: ثنا فَروة بن أبي المغرَاء: ثنا القاسم بن مالك عن سعيد بن المرزبان أبي سعد عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: سئل رسول الله ﷺ: فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟... الحديث، إلىٰ قوله: الصلاة بعد الصلاة.

وأعله الهيثمي بقوله (١/ ٢٣٨):وفيه أبو سعد البقَّال، وهو مدلس، وقد وثقه وكيع.

قلت: وابن أبي شيبة هذا فيه ضعف، فأخشىٰ أن يكون لم يحفظ إسناده، والله أعلم.

=

قَالَ الإمامُ أبو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ إسحَاقَ بنُ مَندَه رَحِمَهُ اللَّهُ:

(رَوَاهُ أَبُو سَلام، عَن عبد الرَّحْمَنِ بنِ عايش عَن مَالك بن يُخَامر عَن مُعَاذِ بْنِ جَبَل، وَرَوَى هَذَا الحَدِيثَ ابْنُ حَنْبَل. وَرُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَنْ عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ونَقَلَهَا عَنْهُم أَئِمَّةُ الْبِلَادِ، مِنْ أهلِ الشَّرقِ والغَربِ)[1] .

وَقَالَ العَلَّامَةُ صِدِّيقُ حَسَن خَان رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَمِنْ صِفَاتِه سُبْحَانَه: اليَدُّ واليَمِينُّ والكَفُّ والإصْبَعُ والشِمَالُ والقَدَمُ

=

وجملة القول أن الحديث صحيح، لا يشك في ذلك أحد بعد أن يقف علىٰ هذه الطرق وتصحيح بعض أئمة الحديث لبعضها؛ إلا إن كان ممن طمس الله علىٰ قلوبهم من ذوي الأهواء كذاك (السخاف) الجاهل الذي يخالف سبيل المؤمنين والعلماء العارفين، فيضعف ما صححوه، كهذا الحديث الذي وضع فيه رسالة سماها- فُضَّ فوه- أقوال الحفاظ المأثورة لبيان وضع حديث: (رأيت ربي في أحسن صورة) !

وكذب- والله- عليهم، كيف وعلىٰ رأس الحفاظ الإمام البخاري الذي صححه كما تقدم؟! وتبعه تلميذه الإمام الترمذي وغيره؛ فقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٢٥):معناه عند أهل العلم: في منامه، وهو حديث حسن، رواه الثقات.

فهذا (السخاف) يعلم يقينًا أن الذي قال الحفاظ بوضعه؛ إنما هو الحديث الموضوع حقّاً المشار إليه آنفًا: أنه رأىٰ ربه علىٰ الأرض... إلخ، وليس هو حديث الاختصام الذي هو رؤيا منامية كما جاء مصرحًا في بعض الطرق، وقال به العلماء كما تقدم.

ووالله! إني لأخشىٰ أن يكون وراء هذا الرجل جماعة من المفسدين في الأرض، اتخذوه مَطِيَّةً لإفساد الدين، ويسروا له أسباب التأليف والنشر؛ لاستمراره في الطعن في السلف والعلماء وتعمده مخالفتهم، ورميه إياهم بالتجسيم! ومن آخر ما ظهر منه تصريحه بأن الاعتقاد بأن الله في السماء هي عقيدة المشركين والمشبهة. وكذلك جماهير العلماء الذين صححوا حديث الجارية: أين الله؟ ، فضعفه، بل قطع بأن النبي ﷺ لم يقله، وسبق الرد عليه بحمد الله تحت حديثها (برقم:٣١٦٢).

(١) من عقائد السلف (الرد علىٰ الجهمية). الطبعة: السنة الثالثة عشر - العدد التاسع والأربعين (محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٠١هـ) - الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية.

والرِّجلُ والوَجهُ والنَّفسُ والعَينُ...)[1].

وللحَافِظِ ابنِ رجَبٍ الحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ رِسَالةٌ في شَرْحِ هَذا الحَديثِ تَحْتَ عُنْوانِ (اخْتيارُ الأوْلَى شَرْحُ حَدِيثِ اخْتِصَامِ المَلأِ الأعْلَى)[2].

*****

الخَطَأُ الحَادِي والعِشْرُونَ:

تَعْلِيلُ حُرْمَةِ الظُّلْمِ لِكَونِهِ مُسْتَحِيلاً.

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ (قَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ أَنَّ الظُّلْمَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى، فَمَنْ عَذَّبَهُ بِذَنْبٍ أَوْ بِلَا ذَنْبٍ فَذَلِكَ عَدْل مِنْهُ ﷻ)[3].

التَّعْلِيقُ:

قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيخِ صَالِحُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ آل الشَّيْخِ حَفِظَهُ اللهُ تَعْلِيقًا على قَولِ الطَّحَاوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ «يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا»:

(ولَفْظُ الظُّلْمِ مِنْ الألفَاظِ التي أدْخَلَهَا هُنَا لأنَّ الفِرَقَ الضَالَّةَ تكَلَّمَتْ فيها:

- فالمُعْتَزِلَةُ لَهُمْ كَلامٌ في الظُّلْمِ.
- والجَبْرِيَّةُ لَهُمْ كَلامٌ في الظُّلْمِ.
- وَأَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ أتبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَسَطٌ بَيْنَ الفِئَتَيْنِ.

فَالظُّلمُ عِنْدَ المُعتَزِلَةِ في حَقِّ اللهِ ﷻ هُوَ الظُّلْمُ في حَقِّ الإنْسَانِ، فَمَا يَفْعَلهُ الإنسَانُ ويَكُونُ ظُلمًا مِنْه إذا نُسِبَ إلى اللهِ ﷻ فإنَّهُ ظُلْمٌ.

فَقَاسُوا الظُّلمَ الَّذي يُضَافُ إلى اللهِ ﷻ بالظُّلمِ الذي يَقَعُ مِنَ الإنسَانِ.

---

(١) «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر». الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية.

(٢) مكتبة دار الأقصىٰ - الكويت - الطبعة: الأولىٰ: ١٤٠٦هـ.

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٧/ ١٨٣).

فَعِنْدَهُمُ الظُّلْمُ واحِدٌ، سواءٌ أكانَ في المَخْلوقِ أمْ في الخَالِقِ، ضَابِطُهُ واحِدٌ، وتَعْرِيفُهُ واحِدٌ، وما يُنَزِّهُ اللهُ ﷻ عَنْه مِنَ الظُّلم، هُوَ مَا لا يَلِيقُ بالإنسَانِ أنْ يَفْعَلَهُ.

وأما المُتكَلِمونَ والأشَاعِرَةُ ونَحْوُ هَؤُلَاءِ فإنَّ الظُّلمَ عِنْدَهُم هُوَ الامْتِنَاعُ عَنِ القُدْرَةِ.

وعِنْدَهُمْ قُدْرَةُ الرَّبِّ ﷻ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا لا يَشَاؤُهُ سُبْحَانَه في تَعَلُّقِهَا الأزلِيِّ وَفِي تَعَلُّقِهَا الصُّلُوحِيِّ - عَلى حَدِّ كَلِمَاتِهِمْ - لا يَنْشَغِلُ ذِهْنُكَ بِها.

فَعِنْدَهُمُ القُدْرَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا يَشَاؤُهُ سُبْحَانَهُ، فَمَا لا يَشَاؤُهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ.

فَمَعْنَى ذَلِكَ: المُمْتَنِعُ عَنِ القُدْرَةِ في تَفْسِيرِ الظُّلمِ هُوَ المُمْتَنِعُ في حَقِّ اللهِ ﷻ عَمَّا لم يَشَأْهُ ﷻ.

فِعِنْدَ المُتَكَلِّمِينَ أَوِ - الأحْسَنِ طَائِفَةٍ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ لأنَّها ليْسَتْ مَوضِعَ اتِّفَاقٍ بَيْن المُتَكَلِّمِينَ وَالأشَاعِرَةِ ثَمَّ خِلافٌ بَيْنَهُم وإنْ كَانَ قَلِيلًا- عِنْدَهُمُ الظُّلْمُ هُوَ الامْتِنَاعُ أو مَا يَمْتَنِعُ أو مَا هُوَ مُمْتَنِعٌ مِنَ القُدْرَةِ.

فَمَا هو مَمْنُوعٌ مُمْتَنِعٌ في قُدْرَةِ الرَّبِّ ﷻ هُوَ الَّذي لو فَعَلَهُ لَكَانَ ظُلْمًا.

لَكِنَّ هَذَا كَمَا تَرَى تَحْصِيلُ حَاصِلٍ، فإنَّهُ ﷻ إذا كَانَ لَمْ يَفْعَلْ فَيَكُونُ عَدَمُ ظُلْمِهِ في أنَّهُ ﷻ لا يَفْعَلُ الأشْيَاءَ؛ لأنَّه لاَ يَظْلِمُ أحَدًا، فَلَوْ فَعَلَ شَيْئًا لا يَدْخُلُ في قُدْرَتِهِ - بَحَسَبِ كَلامِهِمْ - يَكُونُ ظُلْمًا.

وهَذَا تَفْسِيرٌ لا حَاصِلَ تَحْتَهُ لأنَّ القُدْرَةَ شَيْء والظُّلْمَ شَيْء آخَرُ.

فالظُّلْمُ إذاً في تَفْسِيرِهِمْ - تَفْسِيرِ طَائِفَةٍ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ وَالأشَاعِرَةِ ومَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ - يَرْجِعُ إلى المُمْتَنِعِ في صِفَةِ القُدْرَةِ للهِ ﷻ، فَرَجَعَ إلى أنَّ المُمْتَنِعَ في مَشِيئَةِ اللهِ ﷻ لَو فَعَلَه لَكَانَ ظُلْمًا؛ لأنَّ عِنْدَهُمْ الأفْعَالَ أيْضًا غَيرُ مُعَلَّلَةٍ، وحِكْمَةَ اللهِ ﷻ غَيرُ مُرتَبِطَةٍ بالعِلَلِ والأسْبَابِ في بَحْثٍ يَطولُ ذِكْرُهُ هُنَا.

وَأمَّا تَفْسيرُ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ والأئِمَّةِ والذي دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصوصُ فَهُوَ أنَّ الظُّلْمَ هُوَ وَضْعُ الأشْيَاءِ في غَيْرِ مَوضِعِهَا اللائِقِ بِهَا المُوافِقِ للحِكْمَةِ مِنْهُ ﷻ.

والظُّلْمُ بِالتَّالِي يَكُونُ غَيْرُ مُرتَبِطٌ بِالقُدْرَةِ وغَيْرُ مَقِيسٍ عَلى أفْعَالِ الإنْسَانِ؛ بَل هُوَ سُبْحَانَهُ مُتَنَزِّهٌ عَنِ الظُّلْمِ وقَدْ حَرَّمَهُ عَلى نَفْسِهِ.

مِمَّا يَتَّصِلُ أيْضَاً أنَّ الظُّلْمَ عِنْدَ المُعْتَزِلَةِ لا يَكُونُ إلا مِنْ مَأمُورٍ ومَنْهِيٍّ؛ يَعْنِي أَنَّ حَقِيقَةَ الظُّلْمِ تَكُونُ فَقَطْ مِمَّنْ يُؤْمَرُ ويُنْهَى، ويوردُونَ الآياتِ في ذَلِكَ، ويَقُولُونَ الآياتُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلى أنَّ الظُّلْمَ إنَّمَا يَكُونُ في حَقِّ مَنْ أُمِرَ فَلَمْ يَفْعَلْ ونُهِيْ ففَعَلَ وهُمُ المُكَلَّفُونَ.

ولِذَلِكَ يَنفُونَ عَنِ اللهِ ﷻ حَقِيقَةَ الظُّلْمِ لأجلِ أَنَّهُ غَيرُ مَأمورٍ وغَيرُ مَنْهِيٍّ، وَيَرُدُّونَ الأحاديثَ الَّتي فِيهَا تَحْريمُ الظُّلم على اللهِ ﷻ ونَحْوُ ذَلِكَ.

نَقُولُ: نَضْرِبُ مِثَالاً على ذَلِكَ في حَدِيثَيْنِ:

أمَّا الحَديثُ الأوَّلُ فَقولُهُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسلِمٌ في الصَّحِيحِ حديث أبي ذرٍّ المَعْرُوف «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**». وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أنَّ اللهَ حَرَّمَ الظُّلمَ على نَفْسِهِ، فلو كَانَ الظُّلْمُ على تَفْسِيرِ أولئِكَ لا يَقعُ إلا مِنْ مَأمُورٍ ومَنْهِي، فكَيفَ يَكُونُ تَحْريمُه على اللهِ ﷻ؟

يَكُونُ تَحْريمُه تَحْصِيلُ حَاصِلٍ لا مَعْنى لَه، ولو كَانَ الظُّلْمُ هُوَ الامْتِنَاعُ عَنِ القُدرَةِ لكَانَ أيضَاً إضَافَتُهُ إلى اللهِ ﷻ تَحريمَ الظُّلمِ ليْسَ له مَعْنَى.

فإذاً تَحْريمُ الظُّلمِ «حرَّمتُ الظُّلمَ على نَفْسي». يَعنِي جَعَلتُ وَضْعَ الأشْياءِ في غَيْرِ مَوضِعِهَا المُوافِقِ للحِكْمَةِ جَعَلْتُهُ مُحَرَّماً عَلَى نَفْسِي، وحَرَّمْتُ عَليْكُم أنْ تَظَّالَمُوا.

والحَديثُ الثَّاني وَهُوَ قَولُهُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوودَ وغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ بَعْضُ العُلمَاءِ قَالَ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ**...» الحَدِيثُ.

يَعْنِي أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لو عَذَّبَهُمُ اللهُ ﷻ لعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ.

المُعْتَزِلَةُ يَرُدُّونَ هَذِه الأحَادِيثَ أصْلاً، وَالأشَاعِرَةُ يُجَوِّزُونَ أَنْ يُعَذِّبَ اللهُ ﷻ

النَّاسَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ؛ لأَنَّهُمْ لا حِكْمَةَ عِنْدَهُمْ ولا تَعلِيلَ لأفعَالِ اللهِ، يَفْعَلُ ما يَشاءُ بِدونِ عِلَةٍ وبِدونِ سَبَبٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ صَاحِبِ السَّفَارِينِيَّةِ فِي مَنْظُومَتِه:

وجَـازَ للمَـولَى يُعَـذِّبُ الـوَرَى مِـنْ غَيْـرِ مَـا ذَنْـبٍ ولا جُـرْمٍ جَـرَىَ

هَذَا الحَدِيثُ أَهْلُ السُّنَّةِ لا يُفَسِّرُونَه بِهَذَا ولا بِهَذَا؛ بَل يُفَسِّرونَهُ بِعِظَمِ مَعْرِفَتِهِمْ لِرَبِهِمْ جَلَّ جَلالُهُ وخَشْيتِهِمْ لَهُ ومَعْرِفَتِهِمْ بِحُقُوقِهِ، فَيقُولُ أَئِمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ:

بأنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وأهلَ الأرضِ إنَّمَا قامُوا بِرَحْمَةِ اللهِ ﷻ، فَمَا فِيهِمْ حَرَكَةٌ ولا حَيَاةٌ ولا شَأنٌ إلَّا وَفِي كُلٍّ مِنْهَا فَضْلٌ مِنَ اللهِ ﷻ وَرَحْمَةٌ ونِعْمَةٌ أَفَاضَهَا عَلَيْهِم بِها قَامَتْ حَيَاتُهُم وبِها اسْتَقَامُوا، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ** ﴾ [النحل:٥٣]. فمِنْ حَقِّهِ ﷻ على هَذَا العَبْدِ المُكَلَّفِ الَّذي لا تَرمِشُ عَيْنُهُ إلَّا بِنعْمَةٍ، ولا يَأكلُ إلَّا بِنعْمَةٍ، ولا يَتَنَفَّسُ إلَّا بِنعْمَةٍ، ولا يَتَعَلَّمُ إلَّا بِنِعْمَةٍ، ولا يَخْطُو خُطْوَةً إلَّا بِنعَمةٍ، ولا يَنْظُرُ إلَّا بِنعْمَةٍ، ولا يَسْمَعُ إلَّا بِنعْمَةٍ، ولا يَتَكَلَّمُ إلَّا بِنعْمَةٍ، ولا يَفْرَحُ إلَّا بِنعْمَةٍ، إلى آخِرِ نِعَمِ اللهِ ﷻ الَّتي لا تُحْصَى ولا تُعَدُّ، مِنْ حَقِّهُ ﷻ أنْ يُقَابَلَ مَعَ كُلِّ نِعْمَةٍ بِشُكرٍ يُقابِلُ تِلْكَ النِّعمَةَ.

فإذاً سَيمْضِي حَيَاتَه في شُكْرِ اللهِ ﷻ عَلَى الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، فَهَلْ تَسَعُ حَياةُ المُكَلَّفِينَ ذَلِكَ؟

لا تَسَعُ ذَلِكَ.

وَلِهَذا تَأَمَّلْ مَعَ هَذَا قَولَ اللهِ ﷻ لِنَبيِّهِ: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح:١-٢].

وتأَمَّلْ قَولَ النَّبيِّ ﷺ لِعَائِشَةَ لمَّا قَامَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ ﷺ «**أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**». ولَنْ يَبْلُغَ جَمِيعَ مَا يَسْتَحِقُّ اللهُ ﷻ مِنَ الشُّكرِ بالعَمَلِ؛ بَلْ لابُدَّ مِنَ الاستِغْفَارِ والإنَابَةِ حَتَّى يَكْمُلَ شُكْرُ العَبْدِ لرَبِّهِ ﷻ.

وتَأمَّلْ أيْضًا مَا عَلَّمَهُ ﷺ الصِّدِّيقَ الَّذي هو أفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَنْ يَقُولَ في آخِرِ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيراً ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ**». كَيفَ عَبَّرَ هُنَا بِالظُّلْمِ، «**ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثيرًا**». لِمَ؟ هَلْ ظَلَمَ أبو بَكْرٍ بارتِكَابِ الكَبَائِرِ؟

حَاشَا وكَلَّا.

هَلْ ظَلَمَ بِظُلْمِ العِبَادِ؟

حَاشَا وكَلَّا.

هَل ظَلَمَ أبو بَكْرٍ ﷺ بالتَّقصِيرِ في حَقِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وفي الاسْتِجَابَةِ للهِ ولِرَسُولِهِ الظُّلْمَ الكَثِيرَ؟

حَاشَا وكَلَّا.

ولَكِنْ يَنْظُرُ العَبْدُ إلى ما يُفَاضُ عَلَيْه مِنَ النِّعَمِ في كُلِّ لَحْظَةٍ، فَيَشْعُرُ بأَنَّهُ مُقَصِّرٌ واللهُ ﷻ وَصَفَ القَلِيلِ مِنَ الإعْرَاضِ في حَقِّ العَبْدِ بأَنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ، وَوَصَفَ الكَثِيرَ بأَنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ، فِلِهَذَا يَشْعُرُ المُؤمِنُ بأَنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ ظُلْمًا كَثِيرًا؛ لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ أنْ يَشْكُرَ حَقِيقَةَ الشُّكْرِ.

فَلَوْ حَاسَبَ اللهُ ﷻ العِبَادَ، حَاسَبَ أهْلَ السَّمَاوَاتِ وأهْلَ الأرضِ عَلَى حَقِيقَةِ شُكْرِ مَا أنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ وأعَظَمُ ذَلِكَ أنْ جَعَلَهُمْ مُتَّصِلِينَ مِنْه بِسَبَبٍ ومَرفُوعِينَ إليْهِ ﷻ وأنَّهُمْ مِنَ المُنِيبِينَ وأنَّهُمْ مِنَ المُهْتَدِينَ لَمَّا قَامَتْ حِيلَةُ العَبْدِ وَلَمَّا قَامَ إيمَانُهُ ولَمَّا قَامَ لَهُ شَيءٌ؛ ولَكِنْ مَا ثَمَّ إلا رَحْمَةُ اللهِ ﷻ «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ**». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**».

فإذاً نَنْظُرُ إلى قَولِهِ: « **لَوْ عَذَّبَ اللهُ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَه**[1] **وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ**»؛ لأنَّ الشُّكْرَ لنْ يَكُونَ في تَمَامِه، فإذاً هُمْ لنْ يُعْدَمُوا، بَل لنْ يَكُونُوا إلا مُقَصِّرِينَ، لنْ يَكُونُوا إلَّا لَمْ يُوَفُّوا مَقَامَ الشُّكْرِ حَقَّهُ.

بَلْ حَتَّى التَّوبَةُ والإنَابَةُ إذا العَبْدُ كَمَّلَ الشُّكْرَ بِتَوبَتِهِ وإنَابَتِه دَائِمَاً واسْتِغفَارِهِ فإنَّ قَبُولَ التَّوبَةِ وحُصُولَ المَغْفِرَةِ وقَبُولَ الإنَابَةِ مِنَ العَبْدِ أليْسَتْ هَذِهِ نِعْمَةٌ تَسْتَحِقُّ شُكْرًا مُجَدَّدَاً؟

فإذاً لو عَذَّبَ اللهُ أَهْلَ سَمَاواتِهِ وأَهْلَ أرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، فلا يَبْرحُ العَبْدُ أنْ يَرَى نِعْمَةَ اللهِ ﷻ تُفِيْضُ عَلَيْه في أمْرِ دِينِه وفي أمْرِ دُنْيَاه وليْسَ ثَمَّ أمَامَه سَبِيلٌ إلَّا أنْ يَشْعُرَ بالتَّقْصِيرِ.

وهَذَا المُؤمِنُ الحَقُّ دَائِمَاً يَقُولُ مُحَقِّراً نَفْسَهُ، عَسَى اللهُ أنْ يَتَغَمَّدَنَا بِرحْمَةٍ مِنْهُ وفَضْلٍ ولو كَانَ يَصُومُ النَّهَارَ ويَقُومُ اللَّيْلَ، وانْظُرْ إلى كَلامِ أبي بَكْرٍ ﷺ في دُعَائِهِ.

فَكَيْفَ حَالُ المَغرُورينَ الجَهَلَةِ والمُذنِبينَ مِنْ هَذِهِ الأمَّةِ الَّذينَ لا يَرَونَ أثَراً لِذُنوبِهِمْ ولا لإعْرَاضِهِم؛ بَلْ إذا فَعَلوا القَلِيلَ مَنُّوا وأدْلَوا عَلى اللهِ ﷻ بِهِ وهَذِهِ حَالُ مَنْ لمْ يُوَفَّقْ.

أسْأَلُ اللهَ ﷻ أنْ يوفِّقَنَا جَمِيعًا إلى مَا يُحِبُّ ويَرْضَى.

هَذَا تَفْسِيرُ الظُّلْمِ عِنْدَ الطَّوائِفِ المَشْهُورَةِ: القَدَريَّةِ وهُمُ المُعتَزِلَةُ والجَبْريَّةُ وهُمْ أصْنَافٌ وَالمُتَكَلِّمينَ وَقَولُ أهْلِ السُّنَّةِ فِيمَا بَيْنَ هَؤلاءِ وهَؤلاءِ)[2] .

*****

(١) هكذا في الأصل ، والصواب (لَعَذَّبَهُمْ) وفي رواية (عَذَّبَهُمْ).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٥٨١، ٥٨٢).

الخَطَأُ الثَّانِي والعِشْرونَ:

تَأوِيلُ الإتْيَانِ بالرؤيَةِ، أو إتْيانِ المَلائِكَةِ.

قَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ عَلى قَوْلِه ﷺ: «فَيَأْتِيهِمْ الله» (إِنَّ الْإِتْيَانَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ الْعَادَة أَنَّ مَنْ غَابَ عَنْ غَيْره لَا يُمْكِنُهُ رُؤْيَتَهُ إِلَّا بِالْإِتْيَانِ، فَعَبَّرَ بِالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ هُنَا عَنِ الرُّؤْيَةِ مَجَازًا، وَقِيلَ: الْإِتْيَانُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى سَمَّاهُ إِتْيَانًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ «يَأْتِيهِمُ اللهُ» أَيْ: يَأْتِيهِمْ بَعْضُ مَلَائِكَةِ اللهِ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا الْوَجْهُ أَشْبَهُ عِنْدِي بِالْحَدِيثِ، قَالَ: وَيَكُونُ هَذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَهُمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي أَنْكَرُوهَا مِنْ سِمَات الْحَدَثِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْمَلَكِ وَالْمَخْلُوقِ، قَالَ: أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ: يَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَةٍ، أَيْ: يَأْتِيهِمْ بِصُورَةٍ وَيَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ صُوَرِ مَلَائِكَتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْإِلَهِ لِيَخْتَبِرَهُمْ، وَهَذَا آخِرُ اِمْتِحَانِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْمَلَكُ أَوْ هَذِهِ الصُّورَةُ: «أَنَا رَبُّكُمْ» رَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقِ مَا يُنْكِرُونَهُ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ رَبَّهُمْ، وَيَسْتَعِيذُونَ بِاللهِ مِنْهُ)[1].

التَّعْلِيقُ:

الإتْيَانُ وَالْمَجِيءُ صِفَتَانِ فِعْلِيَتَانِ خَبَرِيَّتَانِ ثَابِتَتَانِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

1- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠].

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ١٩، ٢٠).

تنبيهٌ مهمٌّ: كمْ سعدتُ جداً حينما وقفتُ علىٰ كلامٍ لأبي زكريا النووي رَحِمَهُ اللهُ يدل علىٰ رجوعه عن ذلك، وذلك في كتابه جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص: ٦٨) مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع - الطبعة: الأولىٰ حيث قال رَحِمَهُ اللهُ: ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢٢].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(هَذِهِ الآيَةُ ومَا أَشْبَهَهَا دَليلٌ لِمَذهَبِ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، المُثْبتينَ للصِّفَاتِ الاخْتِيارِيَّةِ، كالاسْتِواءِ، والنُّزولِ، والمَجِيءِ، ونَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي أخْبَرَ بِهَا تَعَالى، عَنْ نَفْسِه، أو أخْبَرَ بِها عَنهُ رَسُولُهُ ﷺ، فَيُثبتُونَها عَلى وَجْهٍ يَليقُ بِجَلالِ اللهِ وعَظَمَتِه، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ ولا تَحْرِيفٍ، خِلَافًا للمُعَطِّلَةِ عَلى اخْتِلافِ أنْواعِهِمْ، مِنَ الجَهْمِيَّةِ، والمُعْتَزِلَةِ، والأشْعَرِيَّةِ ونَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَنْفِي هَذِهِ الصِّفاتِ، ويَتَأولُ لأجْلِهَا الآياتِ بِتأويلاتٍ مَا أنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلطَانٍ، بَلْ حَقِيقَتُهَا القَدْحُ في بَيَانِ اللهِ وبَيَانِ رَسُولِهِ، والزَّعْمُ بأنَّ كَلامَهُمْ هُوَ الَّذي تَحْصُلُ بِهِ الهِدَايَةُ في هَذَا البَابِ، فَهَؤلاءِ ليْسَ مَعَهُم دَليلٌ نَقْليٌّ، بَلْ ولا دَليلٌ عَقْليٌّ، أمَّا النَّقْليُّ فَقَدِ اعْتَرفُوا أنَّ النُّصُوصَ الوارِدَةَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ، ظَاهِرُهَا بَلْ صَرِيحُهَا، دَالٌّ على مَذْهَبِ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، وأنَّها تَحْتَاجُ لِدَلالَتِها على مَذْهَبِهِمُ البَاطِلِ، أنْ تَخْرُجَ عَنْ ظَاهِرِهَا ويُزادَ فِيها ويُنْقَصَ، وهَذا كَمَا تَرى لا يَرتَضِيهِ مَنْ في قَلبِهِ مِثْقَالُ ذَرَةٍ مِنْ إيمَانٍ.

وأمَّا العَقْلُ فَليْسَ في العَقلِ مَا يَدُلُّ على نَفيِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، بَلْ العَقْلُ دَلَّ على أنَّ الفَاعِلَ أكْمَلُ مِنَ الذي لا يَقْدِرُ على الفِعْلِ، وأنَّ فِعْلَه تَعَالى المُتَعَلِّقُ بِنَفسِه والمُتَعلِّقُ بِخَلْقِه هو كَمَالٌ، فإنْ زَعَمُوا أنَّ إثْبَاتَها يَدُلُّ عَلى التَشْبِيهِ بخَلقِه، قِيلَ لَهُمْ: الكَلامُ على الصِّفَاتِ، يَتْبَعُ الكَلامَ على الذَّاتِ، فَكَمَا أنَّ للهِ ذَاتًا لا تُشبِهُهَا الذَّواتُ، فَلِلَّهِ صِفَاتٌ لا تُشبِهُهَا الصِّفَاتُ، فصِفَاتُهُ تَبَعٌ لِذَاتِهِ، وصِفَاتُ خَلْقِهِ، تَبَعٌ لِذواتِهِمْ، فَلَيْسَ في إثْبَاتِهَا ما يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ بِوجْهِ.

ويُقَالُ أيْضًا، لِمنْ أثْبَتَ بَعْضَ الصِّفَاتِ، ونَفَى بَعْضًا، أو أثْبَتَ الأسْمَاءَ دُونَ الصِّفَاتِ: إمَّا أنْ تُثبِتَ الجَمِيعَ كَمَا أثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِه، وأثْبَتَهُ رَسُولهُ، وإمَّا أنْ تَنْفِيَ

الجَمِيعَ، وتَكُونَ مُنْكِرًا لِرَبِّ العَالَمِينَ، وأمَّا إثْبَاتُكَ بَعضَ ذَلِكَ، ونَفْيُكَ لِبَعْضِهِ، فَهَذَا تَنَاقُضٌ، فَفَرِّقْ بَيْنَ ما أثْبَتَّهُ، وما نَفَيْتَهُ، ولنْ تَجِدَ إلى الفَرْقِ سَبِيلاً، فإنْ قُلْتَ: ما أثْبَتُّهُ لا يَقْتَضي تَشْبِيهًا، قَالَ لَكَ أهْلُ السُّنَّةِ: والإثْبَاتُ لِمَا نَفَيْتَهُ لا يَقْتَضِي تَشْبِيهًا، فإنْ قُلْتَ: لا أعْقِلُ مِنَ الَّذي نَفَيتُه إلا التَّشْبيهَ، قَالَ لكَ النُّفَاةُ: ونَحْنُ لا نَعْقِلُ مِنْ الذي أثْبَتَّهُ إلا التَّشْبِيه، فَمَا أجَبْتَ به النُّفَاةَ، أجَابَكَ بِه أهْلُ السُّنَّةِ، لِمَا نَفَيْتَهُ.

والحَاصِلُ أنَّ مِنْ نَفَى شَيْئًا وأثْبَتَ شَيْئًا مِمَّا دَلَّ الكِتَابُ والسُّنَّةُ على إثْبَاتِه، فَهُوَ مُتَنَاقِضٌ، لا يَثْبُتُ لَهُ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ وَلَا عَقْلِيٌّ، بَلْ قَدْ خَالَفَ المَعْقُولَ والمَنْقُولَ)[1].

2- وقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 158].

3- وقَوْلُهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ**

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص:٩٤).

رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ فَيَقُولُ لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو فَيَقُولُ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ يَقُولُ أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا قَالَ عَطَاءٌ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ

أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَفِظْتُ مِثْلَهُ مَعَهُ» [١].

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(وقَدْ دَلَّ القُرآنُ والسُّنَّةُ والإجْمَاعُ على أنَّه سُبْحَانَه يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ، ويَنْزِلُ لِفَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِه، ويَأتي في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ والمَلائِكَةُ، ويَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إلى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ويَنْزِلُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، ويَنْزِلُ إلى الأرْضِ قَبلَ يوم القِيامَةِ، ويَنزلُ إلى أَهْلِ الجَنَّةِ. وهَذِهِ أَفْعَالٌ يَفعَلُهَا بِنَفْسِهِ في هَذِهِ الأَمْكِنَةِ فلا يَجُوزُ نَفْيُها عَنْهُ بِنَفْيِ الحَرَكَةِ والنَّقَلَةِ المُخْتَصَّةِ بالمَخْلوقينَ، فإِنَّهَا لَيسَتْ مِنْ لوازِمِ أفْعَالِهِ المُخْتَصَّةِ بهِ، فَمَا كَانَ مِنْ لوازِمِ أَفْعَالِه لَمْ يَجُزْ نَفْيُهُ عَنْهُ، وما كَانَ مِنْ خَصَائِصِ الخَلْقِ لَمْ يَجُزْ إِثْبَاتُهُ لَهُ.

وحَرَكَةُ الحَيِّ مِنْ لَوَازِمِ ذاتِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الحَيِّ وَالمَيِّتِ إِلَّا بالحَرَكَةِ والشُّعُورِ، فَكُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ بِالإِرَادَةِ وَلَهُ شُعُورٌ فَنَفْيُ الحَرَكَةِ عَنْهُ كَنَفْيِ الشُّعُورِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الحَيَاةِ) [٢].

وقَالَ أَبُو الحَسنِ عليُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ ﷻ يَجِيءُ يومَ القِيامَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾) [٣].

وقَالَ أَبُو مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ بْنُ أبي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(وأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالى يَجيءُ يَومَ القيامَةِ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا؛ لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وعقُوبَتِها وثَوابِها) [٤].

---

(١) أخرجه البخاري (بَاب الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ) (رقم: ٦٠٨٨)، ومسلم (بَاب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ) (رقم: ٢٦٧).

(٢) «كتاب العرش» (ص: ٢٣٤).الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ – عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٣) «الإبانة عن أصول الديانة». (ص: ٣٠) – الطبعة: الأولىٰ، ١٣٩٧هـ – دار الأنصار – القاهرة.

(٤) «مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة» (ص: ٥٩)

وقَالَ العَلاَّمَة أبو عَبْدِ اللهِ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَصْلٌ في بَيَانِ ما اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ مِنَ السُّنَنِ:

فِيمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْه الأمُورُ مِنْ أمُورِ الدِّيَانَةِ مِنَ السُّنَنِ الَّتي خِلافُهَا بِدعَةٌ وضَلالَةٌ إنَّ اللهَ ﷻ اسْمُهُ، لَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلَى لمْ يَزلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بأنَّ لَهُ عِلْمًا وقُدْرَةً وإرادَةً ومَشِيئَةً أحَاطَ عِلمًا بِجَمِيعِ ما بَدا قَبْلَ كَونِهِ فَطَرَ الأشْياءَ بإرادَتِهِ وقَولِه إنَّمَا أمْرُهُ إذا أرادَ شَيْئًا أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وأنَّ كَلامَهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ لَيْسَ بِمَخْلوقٍ فَيبِيدَ ولا صِفَةٍ لمَخْلوقٍ فَيَنْفَدَ وأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ و السَّلامُ بِذَاتِه وأسْمَعَهُ كَلامَهُ لا كَلامًا قَامَ في غَيْرِهِ وأنَّه يَسْمَعُ ويَرَى ويَقْبِضُ ويَبْسُطُ وأنَّ يَديْهِ مَبْسُوطَتَانِ والأرضُ جَمِيعًا قَبْضَتُه يَومَ القِيَامَةِ والسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ وأنَّ يَديْهِ غَيْرُ نِعْمَتِهِ في ذَلِكَ وفي قَوْلِهِ سُبْحَانَه مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَديَّ وَأنَّهُ يَجِيءُ يَومَ القِيَامَة بَعْدَ أنْ لمْ يَكُنْ جَائِيًا والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا لِعَرضِ الأُمَمِ وحِسَابِها وعِقَابِهَا وثَوابِهَا فَيَغْفِرُ لِمنْ يَشَاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ)[1].

وَقَالَ العَلاَّمَةُ مَرعِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَبِى بَكْرِ بْنِ أَحْمَدَ الكَرْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَإنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ وَمَلَائِكَتُهُ كَمَا قَالَ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾)[2].

وَقَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ العُثَيمينُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَأَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يَقُولُونَ: نَحْنُ نُؤمِنُ بِهَذِهِ الآيَاتِ، والأحَاديثِ ولا

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» (ص: ٨٣). الطبعة الأولىٰ ١٤٠٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات» (ص: ١٤٥). الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٦ مؤسسة الرسالة - بيروت.

نُحَرِّفُهَا، لأن تَحْرِيفَهَا قَوْلٌ عَلَى اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ مِنْ وَجْهَينِ:

يَتَبَينُ ذَلِكَ فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢٢].

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ: جَاءَ رَبُكَ أَيْ هُوَ نَفْسُهُ يَجِيءُ ﷻ، لكِنَّهُ مَجِيءٌ يَلِيقُ بِجَلالِهِ وعَظَمَتِهِ لَا يُشْبِهُ مَجِيءَ المَخْلوقينَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نُكَيِّفَهُ، وعَلَيْنَا أَنْ نُضِيفَ الفِعْلَ إلى اللهِ كَمَا أَضَافَهُ اللهُ إلى نَفْسِهِ. فَنَقُولُ: إنَّ اللهَ تَعَالَى يَجِيءُ يومَ القِيامَةِ مَجِيئًا حَقِيقِيًّا يَجِيءُ هُوَ نَفْسُهُ، وقَالَ أَهْلُ التَّحرِيفِ مَعْنَاهُ: وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ.

وهَذَا جِنَايَةٌ عَلَى النَّصِّ مِنْ وَجْهَينِ:

الوجْهُ الأَوَّلُ: نَفْيُ ظَاهِرِهِ فأيْنَ لَهُمُ العِلْمُ مِنْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَهُ.

هَلْ عِنْدَهُم عِلمٌ مِنْ أَنَّ اللهَ لم يُرِدْ ظَاهِرَهُ مَا أَضَافَهُ لِنَفْسِهِ؟! وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ عَنِ القُرآنِ إنَّه نَزَّلَهُ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعراء:١٩٥] (١).

فَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِدَلَالَةِ هَذَا اللَّفْظِ حَسَبَ مُقْتَضَى هَذَا اللِّسَانِ العَرَبِي المُبِينِ.

فَمِنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَ اللَّفْظِ؟! فَالقَولُ بِنَفْيِ ظَاهِرِ النَّصِّ قَوْلٌ عَلَى اللهِ بِغَيرِ عِلْمٍ.

الوَجْهُ الثَّانِي: إِثْبَاتُ مَعْنًى لَمْ يَدُلَّ إلى ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فَهَلْ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرَادَ المَعْنَى الَّذِي صَرَفَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ إِلَيْهِ؟! هَلْ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَنَّ اللهَ أَرَادَ مَجِيءَ أَمْرِهِ؟! قَدْ يَكُونُ المُرَادُ جَاءَ شَيءٌ آخرُ يُنْسَبُ إلى اللهِ غَيْرُ الأَمْرِ.

فَإِذاً كُلُّ مُحَرَّفٍ أَيْ كُلُّ مَنْ صَرَفَ الكَلَامَ عَنْ ظَاهِرِهِ بِدُونِ دَلِيلٍ مِنَ الشَّرْعِ فَإِنَّهُ قَائِلٌ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: نَفْيُهُ ظَاهِرَ الكَلَامِ.

الثَّاني: إِثْبَاتُهُ خِلَافَ ذَلِكَ الظَّاهِرِ.

---

(١) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها (ص: ٢٢) الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ – دار الشريعة.

*****

الخَطَأُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ:

تَأْوِيلُهُ السُّخْرِيَةَ بِالجَزَاءِ عَلَيْهَا، أَوْ نَفْيِ السُّخْرِيَةِ، وَأَنَّ الْهَمْزَةَ فِي «أَتَسْخَرُ بِي» هَمْزَةُ نَفْيٍ.

قَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ (قَوْلُهُ: «أَتَسْخَرُ بِي أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟»: أَمَّا مَعْنَى «أَتَسْخَرُ بِي»؟ هُنَا فَفِيهِ أَقْوَالٌ:

أَحَدُهَا: قَالَهُ الْمَازِرِيُّ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى الْمُقَابَلَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ دُونَ لَفْظِهِ؛ لِأَنَّهُ عَاهَدَ اللهَ مِرَارًا أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَ مَا سَأَلَ ثُمَّ غَدَرَ فَحَلَّ غَدْرُهُ مَحَلَّ الاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ، فَقَدَّرَ الرَّجُلُ أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، وَتَرَدُّدَهُ إِلَيْهَا وَتَخْيِيلَ كَوْنِهَا مَمْلُوءَةً ضَرْبٌ مِنَ الْإِطْمَاعِ لَهُ وَالسُّخْرِيَةِ بِهِ جَزَاءً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ غَدْرِهِ وَعُقُوبَةً لَهُ، فَسُمِّيَ الْجَزَاءُ عَلَى السُّخْرِيَةِ سُخْرِيَةً، فَقَالَ أَتَسْخَرُ بِي أَيْ: تُعَاقِبُنِي بِالْإِطْمَاعِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الصُّوفِيُّ إِنَّ مَعْنَاهُ: نَفْيُ السُّخْرِيَةِ الَّتِي لَا تَجُوزُ عَلَى اللهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ قَالَ: أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَهْزَأُ بِي لِأَنَّكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَعْطَيْتَنِي مِنْ جَزِيلِ الْعَطَاءِ وَأَضْعَافِ مِثْلِ الدُّنْيَا حَقٌّ، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ أَنَّكَ أَعْطَيْتَنِي هَذَا وَأَنَا غَيْرُ أَهْلٍ لَهُ، قَالَ: وَالْهَمْزَةُ فِي أَتَسْخَرُ بِي هَمْزَةُ نَفْيٍ، قَالَ: وَهَذَا كَلَامٌ مُنْبَسِطٌ مُتَدَلِّلٌ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: قَالَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ: أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ صَدَرَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَهُوَ غَيْرُ ضَابِطٍ لِمَا قَالَهُ لِمَا نَالَهُ مِنَ السُّرُورِ بِبُلُوغِ مَا لَمْ يَخْطِرْ بِبَالِهِ، فَلَمْ يَضْبِطْ لِسَانُهُ دَهَشًا وَفَرَحًا فَقَالَهُ وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ، وَجَرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا فِي مُخَاطَبَةِ الْمَخْلُوقِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الرَّجُلِ الْآخَرِ:أَنَّهُ لَمْ يَضْبِطْ نَفْسَهُ مِنَ الْفَرَحِ فَقَالَ: أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ فِي الرِّوَايَاتِ «أَتَسْخَرُ بِي» وَهُوَ صَحِيحٌ يُقَالُ: سَخِرْتُ مِنْهُ وَسَخِرْتُ بِهِ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَفْصَحُ الْأَشْهَرُ، وَبِهِ جَاءَ الْقُرْآنُ. وَالثَّانِي فَصِيحٌ أَيْضًا وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ بِالْيَاءِ لِإِرَادَةِ مَعْنَاهُ كَأَنَّهُ قَالَ: أَتَهْزَأُ بِي. وَاللهُ أَعْلَمُ)[1].

التَّعْلِيقُ:

الاسْتِهْزَاءُ بِالْكَافِرِينَ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ فِي الكِتَابِ العَزِيْزِ.

الدَّلِيلُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

قَالَ العَلَّامَةُ البَعْلِيُّ مُخْتَصِراً كَلَامَ العَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ ابْنِ القَيِّمِ رَحِمَهُمَا اللهُ:

(إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالِاسْتِهْزَاءِ مُطْلَقًا، وَلَا ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَمَنْ ظَنَّ مِنَ الْجُهَّالِ الْمُصَنِّفِينَ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمَاكِرَ الْمُخَادِعَ الْمُسْتَهْزِئَ الْكَائِدَ فَقَدْ فَاهَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ، وَتَكَادُ الْأَسْمَاعُ تُصَمُّ عِنْدَ سَمَاعِهِ، وَغَرَّ هَذَا الْجَاهِلَ أَنَّهُ ﷻ أَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ هَذِهِ الْأَفْعَالَ فَاشْتَقَّ لَهُ مِنْهَا أَسْمَاءً، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى فَأَدْخَلَهَا فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَأَدْخَلَهَا وَقَرَنَهَا بِالرَّحِيمِ الْوَدُودِ الْحَكِيمِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ لَيْسَتْ مَمْدُوحَةً مُطْلَقًا، بَلْ تُمْدَحُ فِي مَوْضِعٍ وَتُذَمُّ فِي مَوْضِعٍ، فَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ أَفْعَالِهَا عَلَى اللهِ مُطْلَقًا، فَلَا يُقَالُ: إِنَّهُ تَعَالَى يَمْكُرُ وَيُخَادِعُ وَيَسْتَهْزِئُ وَيَكِيدُ.

فَكَذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى لَا يُشْتَقُّ لَهُ مِنْهَا أَسْمَاءٌ يُسَمَّى بِهَا، بَلْ إِذَا كَانَ لَمْ يَأْتِ فِي

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣/ ٣٩، ٤٠).

أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُرِيدُ وَلَا الْمُتَكَلِّمُ وَلَا الْفَاعِلُ وَلَا الصَّانِعُ، لِأَنَّ مُسَمَّيَاتِهَا تَنْقَسِمُ إِلَى مَمْدُوحٍ وَمَذْمُومٍ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِالْأَنْوَاعِ الْمَحْمُودَةِ مِنْهَا، كَالْحَلِيمِ وَالْحَكِيمِ، وَالْعَزِيزِ وَالْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْهَا الْمَاكِرُ الْمُخَادِعُ الْمُسْتَهْزِئُ، ثُمَّ يَلْزَمُ هَذَا الْغَالِطَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الدَّاعِيَ وَالْآتِيَ، وَالْجَائِيَ وَالذَّاهِبَ وَالْقَادِمَ وَالرَّائِدَ، وَالنَّاسِيَ وَالْقَاسِمَ، وَالسَّاخِطَ وَالْغَضْبَانَ وَاللَّاعِنَ، إِلَى أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ أَفْعَالَهَا فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ وَلَا عَاقِلٌ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْجَزَاءِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْمُجَازَاةَ عَلَى ذَلِكَ حَسَنَةٌ مِنَ الْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ مِنَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا إِذَا نَزَّلْنَا ذَلِكَ عَلَى قَاعِدَةِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيَّيْنِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ لِقُبْحِهِ وَغِنَاهُ عَنْهُ، وَإِنْ نَزَّلْنَا ذَلِكَ عَلَى نَفْيِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ عَقْلًا، وَأَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ كُلُّ مُمْكِنٍ وَلَا يَكُونُ قَبِيحًا، فَلَا يَكُونُ الِاسْتِهْزَاءُ وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ مِنْهُ قَبِيحًا الْبَتَّةَ، فَلَا يَمْتَنِعُ وَصْفُهُ بِهِ ابْتِدَاءً لَا عَلَى سَبِيلِ الْمُقَابَلَةِ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَإِطْلَاقُ ذَلِكَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ دُونَ مَجَازِهِ، إِذِ الْمُوجِبُ لِلْمَجَازِ مُنْتَفٍ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ، فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ قَاطِعٌ، فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْرِ الْمَعْنَوِيِّ.

أَمَّا الْأَمْرُ اللَّفْظِيُّ فَإِطْلَاقُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى إِطْلَاقِهَا عَلَى الْمَخْلُوقِ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا مَجَازٌ لِتَوَقُّفِهَا عَلَى الْمُسَمَّى الْآخَرِ كَمَا قَدَّمْنَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرَّعد: ١٣] وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]. فَظَهَرَ أَنَّ هَذَا الْفَرْقَ الَّذِي اعْتَبَرُوهُ فَاسِدٌ لَفْظًا وَمَعْنًى)[1].

(١) «مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» (ص: ٣٠٧). الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - دار الحديث - القاهرة. الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

*****

الخَطَأُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ:

تَأْوِيلُ الغَضَبِ بِإِرَادَته عِقَابَ الْعَاصِي وَخِذْلَانَهِ.

قال غفر الله له (قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»، وَفِي رِوَايَة: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» قَالَ الْعُلَمَاءُ: غَضَبُ اللهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ يَرْجِعَانِ إِلَى مَعْنَى الْإِرَادَةِ، فَإِرَادَتُهُ الْإِثَابَةَ لِلْمُطِيعِ، وَمَنْفَعَةَ الْعَبْدِ تُسَمَّى رِضًا وَرَحْمَةً، وَإِرَادَتُهُ عِقَابَ الْعَاصِي وَخِذْلَانَهُ تُسَمَّى غَضَبًا، وَإِرَادَتُهُ ﷻ صِفَةٌ لَهُ قَدِيمَةٌ يُرِيدُ بِهَا جَمِيعَ الْمُرَادَاتِ، قَالُوا: وَالْمُرَادُ بِالسَّبْقِ وَالْغَلَبَةِ هُنَا كَثْرَةُ الرَّحْمَةِ وَشُمُولُهَا، كَمَا يُقَال: غَلَبَ عَلَى فُلَانٍ الْكَرَمُ وَالشَّجَاعَةُ إِذَا كَثُرَا مِنْهُ) [1].

التَّعْلِيقُ:

الْغَضَبُ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

1- قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾ [النُّور:٩].

2- وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾ [طه :٨١].

3- وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة: ١٣].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّة:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ**

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٧/ ٦٨)

فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[1].

2- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا

---

(١) أخرجه البخاري (بَاب قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾) (رقم: ٦٨٩٩)، ومسلم (بَاب فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ) (رقم: ٤٩٣٩).

إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ، إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

قَالَ ابْنُ أَبِي العِزِّ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَمَذْهَبُ السَّلَفِ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْغَضَبِ، وَالرِّضَى، وَالْعَدَاوَةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (بَاب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾) (رقم: ٤٣٤٣)، ومسلم (بَاب أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا) (رقم: ٢٨٧)، والترمذي (بَاب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ) (رقم: ٢٣٥٨).

وَالْوِلَايَةِ، وَالْحُبِّ، وَالْبُغْضِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ، وَمَنْعُ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَصْرِفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا اللَّائِقَةِ بِاللهِ تَعَالَى)[1].

وقَالَ الشَّيخُ صَالِحُ آل الشَّيخ حَفِظَه اللهُ:

(الغَضَبُ والرِضَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتي يَتَّصِفُ بِهَا الرَّبُّ إذا شَاءَ.

فَغَضَبُهُ سُبْحَانَه ورِضَاهُ مُتَعلِّقٌ بمشيئَتِه وقُدْرَتِهِ.

الغَضَبُ يحِلُّ ثُمَّ يَزُولُ، والرِّضَا يحِلُّ ثُمَّ يزولُ، وهَكَذَا، يَعْنِي أنَّ الغَضَبَ لَيْسَ دَائِمًا والرِّضَا ليْسَ دَائِمًا وإنَّمَا هذا مُرْتَبِطٌ كَجِنْسِه في الصِّفَاتِ الفِعْليَّة بِمَشِيئَةِ اللهِ وبِقُدْرَتِهِ.

وهَذَا هُوَ الَّذي قَرَّرَهُ أهْلُ الحَدِيثِ والأثَرِ وأئِمَةُ أهْلِ السُّنَّةِ واستَدَلُّوا لِذَلِك بقولِ اللهِ: ﴿**وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ**﴾ [طه:٨١]، فَدَلَّ عَلى أنَّ الغَضَبَ يَحِلُّ بَعْدَ أنْ لمْ يَكُنْ حَالاً، وحُلُولُهُ يَدُلُّ على أنَّهُ مُتَعلِّقٌ بِمَشيئَةِ اللهِ لأنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ.

فإذا شَاءَ اللهُ أنْ يَغْضَبَ فإنَّهُ سُبْحَانَه يَغْضَبُ وإذا شَاءَ أنْ يَرْضَى فإنَّهُ يَرْضَى.

وكَذَلِكَ قَولُهُ ﷺ في الحَدِيثِ: «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فلا أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَداً»، دلَّ على أنَّ أهْلَ الجَنَّةِ مَنَّ عَلَيْهِم بأنَّه أحَلَّ عَلَيْهِم رِضَاهُ فلا يَسْخَطُ بَعْدَه عَلَيْهِمْ أبَدَاً، وهَذَا يَدُلُّ على أنَّ الرِّضَا مُتَعلِقٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ وإرادَتِهِ وقُدْرَتِهِ ﷻ.

هَذَا هو مَذْهَبُ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في أنَّ الغَضَبَ والرِّضَا صِفَاتٌ فِعْلِيَّةٌ اخْتِيارِيَّة للرَّبِّ ومِنْ جِنْسِهَا صِفَةُ المَحَبَّةِ والسَخَطِ والوَلَايَةِ والعَدَاوَةِ وأشْبَاهِ ذَلِكَ فإنَّهَا تَخْتَلِفُ ومُتَعلِّقَةٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ.

أمَّا مَذَاهِبُ المُخَالِفين في هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِخُصُوصِهِمَا:

فإنَّ الجَهْمِيَّةَ ومَنْ شَابَهَهُمْ مِمَّنْ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ أصْلاً يَجْعَلونَ الآياتِ

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص: ٣٠٥). تحقيق: العلَّامة: أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ.

والأحَادِيثَ الَّتي فِيهَا ذِكْرُ الغَضَبِ أو فيها ذِكْرُ الرِّضَا أَنَّهَا أسْماءٌ للشَّيءِ الَّذي سُمِّيَ غَضَبٌ، يَعْنِي العُقُوبَةَ هِيَ الغَضَبُ والنَّعِيمَ هُوَ الرِّضَا.

فعِنْدَهُمْ أنَّ هَذِهِ الأشْياءَ مَخْلوقَاتٌ مُنْفَصِلَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَنْ قِيلَ عَنْهُ: إنَّه غُضِبَ عَلَيْه أو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فإذا نَعَّمَ فَهَذَا رِضَاهُ، يَعْنِي نَفْسَ النَّعِيمِ هُوَ رِضَا اللهِ ونَفْسَ العُقُوبَةِ هِيَ الغَضَبُ، وهَذَا مَذْهَبُ الجَهْمِيَّةِ ومَنَ شَابَهَهُم.

أما الكُلَّابِيَّةُ وهُم أوَّلُ مَنْ نَفَى هَذِهِ الصِّفَاتِ لأجْلِ نَفْيِ تَعَلُّقِهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وتَعلِيلِهِم لِذِلِكَ بأنَّ إثْبَاتَها يَقْتَضِي أنَّهُ مَحَلًّا للحَوادِثِ.

ولِهَذا ذَهَبوا إلى أنَّ غَضَبَ اللهِ واحِدٌ وأنَّ رِضَاهُ واحِدٌ، فَغَضَبُهُ عِنْدَهُمْ قَدِيمٌ، مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ فإنَّه لا يَرضَى عَلَيْهِ أبَداً، ومَنْ رَضِي عَنْه فإنَّه لا يَغْضَبُ عَلَيْه أبَداً.

فَعِنْدَهُمْ أنَّ غَضَبَ اللهِ لَيْسَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِعَمَلِ العَبدِ أو بِعَمَلِ العَبِيدِ وأنَّ رِضَاهُ لَيْسَ مُتَعَلِقاً بِعَمَلِ العَبْدِ أو بِعَمَلِ العِبَادِ، وإنَّمَا هو شَيءٌ واحِدٌ.

ولِهَذَا يَقُولونَ إنَّه مَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ في العَاقِبَةِ فإنَّه مَرْضِيٌ عَنْهُ ولو كَانَ حَالَ عِبَادَتِه لِلْوَثَنِ، وَلَوْ كَانَ حَالَ زِنَاه، شُرْبَهُ للخَمْرِ - يَعْنِي قَبْلَ أنْ يُسْلِمَ-، ومَنَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وكَانَتْ خَاتِمَتَهُ النَّارُ والعَذَابُ فإنَّهُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ ولو في حَالِ صَلاتِهِ وخُشُوعِه وبُكَائِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ في حَالِ إسْلامِهِ.

وهَذَا يَعْنِي:

١ - أنَّهُ إبْطَالٌ للصِّفَةِ.

٢ - ثُمَّ أنَّهُ لا مَعْنَى حِيْنَئِذٍ عِنْدَهُمْ لكِتَابَةِ الحَسَنَاتِ للمُسْلِمِ ولكِتَابَةِ السَّيئَاتِ على الكَافِرِ في حَالِ إيمَانِ الأوَّلِ وكُفْرِ الثَّاني؛ لأنَّ الإنْسَانَ إذا أسْلَمَ فإنَّ الإسْلامَ يَجُبُّ ما قَبْلَهُ، فكَيْفَ يَكُونُ مَرْضِيًّا عَنْهُ والمَلائِكَةُ تَكْتُبُ عَلَيْهِ السَّيئَاتِ.

ثُمَّ هَذا المُسْلِمُ يَكُونُ خَاشِعَاً تُكْتَبُ لَهُ الحَسَنَاتُ، ثمّ تَأتي الرِّدَّةُ فَيَحْبَطَ عَمَلُهُ

فَيَكُونُ عِنْدَهُمْ دَائِمًا فِي حَالِ الغَضَبِ وأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

وهَذَا خِلافُ مَا دلَّتْ عَلَيْهِ الأدِلَّةُ كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ فِي قَوْلِه: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾، «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً»، وأشباهِ هَذِه الأدِلَّةِ.

إذاً فَعِنْدَ الكُلَّابِيَّةِ، وَهُوَ الَّذي ذَهَبَ إلَيْهِ الأشْعَرِيَّةُ والمَاتُرِيديَّةُ أنَّ صِفَةَ الغَضَبِ والرِّضَا ونَحْوَهَا مِنَ الصِّفَاتِ أنَّهَا صِفَاتٌ قَدِيمَةٌ ذَاتِيَّةٌ، يَعْنِي أنَّهَا لا تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَةٍ ولا إرادَةٍ ولا قُدْرَةٍ بَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ، غَضِبَ وانْتَهَى ورَضِيَ وانْتَهَى وليْسَ ثَمَّ شَيءٌ يَتَجَدّدُ بِتَعَلُّقِهِ بالآحَادِ.

نَقُولُ: الَّذينَ تَأَوَّلُوا كَابْنِ كُلَّابٍ ومَنْ مَعَهُ، على النَّحوِ الَّذي ذَكَرْنَا لَكَ سَالِفًا، هُمْ أوَّلُ مَنْ أحْدَثَ هَذَا المُصْطَلَحَ وَهُوَ الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ والصِّفَاتُ الفِعْلِيَّةَ، وجَعَلوا البَابَ عِنْدَهُمْ أنَّ إثْبَاتَ صِفَاتِ الفِعْلِ يَعْني حُلولَ الحَوادِثِ بالرَّبِّ، وأهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ اسْتَعْمَلوا هَذَا التَّقْسِيمَ: الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةَ والصِفَاتِ الفِعْلِيَّةَ على مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

فَعُرِّفَتِ الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ بأكْثَرَ مِنْ تَعْرِيفٍ وَهُوَ اجْتِهَادٌ مِنَ العُلمَاءِ، لكِنْ لَعَلَهُ يَكُونُ مِنْ أقْرَبِهَا:

- أنَّ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةَ هِيَ المُلازِمَةُ للمَوصُوفِ.

- والصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةَ هِيَ الصِّفَاتُ غَيْرُ المُلازِمَةِ للمُتَّصِفِ بِهَا، غَيْرُ المُلازِمَةِ للذَّاتِ.

ويُعْنَى بالمُلَازَمَةِ الَّتي لا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ المَوصُوفَةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ.

فَفي حَقِّ اللهِ نَقُولُ: الوَجْهُ صِفَةُ ذَاتٍ لأنَّهُ لا يَنْفَكُ، فاللهُ مُتَّصِفٌ بِهَذِه الصِّفَةِ دائِمًا وأبَداً وأنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَّصِفٌ بالعَظَمَةِ والكِبْرِيَاءِ والجَلالِ والنَّورِ وأشْبَاهِ ذَلِكَ، هَذِهِ صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ.

والقِسْمُ الثَّانِي: الصِّفَاتُ الفِعْلِيَّةُ، وهَذِهِ الصِّفَاتُ الفِعْلِيَّةُ هِيَ غَيْرُ المُلازِمَةِ، يَعْنِي الَّتي تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَةِ اللهِ وقدرَتهِ واخْتِيَارِه ﷻ، فَلَيْسَتْ مُلازِمَةً فإنَّهَا تكُونُ في حَالٍ دونَ حَالٍ.

والصِّفَاتُ الفِعْلِيَّةُ:

- مِنْهَا مَا يَكُونُ دائِمًا صِفَةً فِعْلِيَّةً.
- ومِنْهَا مَا يكُونُ آحَادُهُ صِفَةَ فِعْلٍ واخْتِيَارٍ وأَصْلُهُ صِفةَ ذَاتٍ مُلازِمَةٍ.

مثالُ الأوَّلُ صِفَةُ الغَضَبِ والرِّضَا فإنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَنْ يَغْضَبُ عَلَيْهِ وبِمَنْ يَرْضَى عَنْهُ.

ومِثَالُ الثَّانِي الكَلامُ للهِ، فإنَّهُ سُبْحَانَه كَلامُهُ كَمَا أنَّه قَدِيمٌ فإنَّهُ مُتَجَدِدُ الآحَادِ.

وَالأَشْعَرِيُّ لمَّا تَرَكَ الاعْتِزَالَ الَّذي كَانَ عَلَيْهِ في أوَّلِ أمْرِه، ذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ جَوابٍ لأسْئِلةٍ عِنْدَهُ قَبْلَ تَرْكِهِ للاعتِزَالِ، فوجَدَ في جَامِعٍ في بَغْدَادَ أصْحَابَ ابنِ كُلاَّبٍ يَتَبَاحَثُونَ ومِنْهُمْ مَنْ يُعَلِّمُ فَجَلَسَ فأعْجَبَهُ كَلامُهُمْ لأنَّهْم كَانوا يَرُدُّونَ على المُعتَزِلَةِ، فأخَذَ مَذْهَبَ الكُلَّابِيَّة وهُو المَذْهَبُ الذي دَرَجَ عَلَيْه أصْحَابُه - أصْحَابُ الأشْعَرِيِّ - ثمّ مَرَّ عَلَيْه زَمَنٌ في ذَلِكَ وَصَنَّفَ في مَذْهَبِهِم مُصَنَّفَاتٍ، ثَمَّ نَظَرَ في قَولِ أهْلِ الحَدِيثِ فَرَجَعَ إليْهِ فَصَارَ آخِرُ أمْرِهِ على أنَّهُ مِنْ أهْلِ الحَدِيثِ كَمَا هو مُقَرَّرٌ في كُتُبِهِ كالإبَانَةِ ومَقَالاتِ الإسْلاميينَ ورسَالَةِ أهْلِ الثَّغْرِ أو رَسَائِلِ أهْلِ الثَّغْرِ وغَيْرِها)[(١)].

*****

الخَطَأُ الخَامِسُ والعِشْرونَ:

---

(١) «شرح الطحاوية» (عند تعليقه علىٰ قول الإمام الطَّحاوي: واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ).

تأويلُهُ الفَرَحَ بالرِّضَا:

قال عفا الله عنه (قَوْلُهُ ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ**» قَالَ الْعُلَمَاءُ: فَرَحُ اللهِ تَعَالَى هُوَ رِضَاهُ، وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: الْفَرَحُ يَنْقَسِمُ عَلَى وُجُوهٍ مِنْهَا: السُّرُورُ، وَالسُّرُورُ يُقَارِبُهُ الرِّضَا بِالْمَسْرُورِ بِهِ، قَالَ: فَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْضَى تَوْبَةَ عَبْدِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَرْضَى وَاجِدُ ضَالَّتِهِ بِالْفَلَاةِ، فَعَبَّرَ عَنِ الرِّضَا بِالْفَرَحِ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى الرِّضَا فِي نَفْسِ السَّامِعِ، وَمُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِهِ)[1].

التَّعْلِيقُ:

الْفَرَحُ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ خَبَرِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ﷻ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْسُّنَّةِ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»[2].

قَالَ الشَّيخُ صَالِحُ آل الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ:

(فِي هَذَا الحَدِيثِ إِثْباتُ صِفَةِ الفَرَحِ للهِ جَلَّ وعَلا وهَذَا الإثباتُ على القَاعِدَةِ أَنَّه إِثْبَاتٌ مِنْ غَيرِ تَمْثِيلٍ ومِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ.

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٧/ ٦٠، ٦١)

(٢) أخرجه البخاري مختصراً (بَاب التَّوْبَةِ) (رقم: ٥٨٣٤)، ومسلم (بَاب فِي الْحَضِّ عَلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا) (رقم: ٤٩٣٢)، واللفظ لمسلمٍ.

والمُمَثِّلَةُ مُجَسِّمَةٌ والمُعَطِلَةُ نُفَاةٌ وأهْلُ السُّنَّةِ بَيْنَ هَؤلاءِ وهَؤلاءِ فَيُثبِتُونَ ولا يُعَطِّلونَ ولا يُكَيفُونَ ولا يُمَثِلُونَ، أمَّا المُخَالِفونَ في هَذِهِ الصِّفَةِ فالمُعْتَزِلَةُ يَجْعَلونَ الفَرَحَ – على قَاعِدَتِهِمْ – يَجْعَلونَه مَخْلوقًا مُنْفصِلاً يَعْني مِمَّا شَأنُهُ أن يُفْرِحَ.

والشَّيءُ إذا كَانَ مِنْ شَأنِه أنْ يُفْرِحَ يُسَمَى فَرَحًا.

فَهُنَا **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا)** لأنَّ هَذا الفِعْلَ أو هَذَا الَّذي حَصَلَ في القِصَّةِ وقولَ هَذا الَّذي ضَاعَتْ رَاحِلَتُهُ وفَقَدَهَا **(اللَّهُم أنْتَ عَبْدِي وأنا رَبُّكَ)** هَذَا شَيءٌ مِنْ شَأنِه أنْ يُفْرِحَ لأنَّ هَذَا العَبْدَ تَابَ تَوبَةَ مَنْ وجَدَ راحِلَتَهُ بَعْدَ أنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الأمْرُ وقَالَ هَذِهِ الكَلِمَةَ.

فَهَذَا الفِعْلُ الَّذي هُوَ وُجُودُ الرَّاحِلَةِ وقَولُ هَذا وتَحْصِيلُهُ للرَّاحِلَة بَعدَ فَقْدِهَا هَذَا يَكُونُ مِنْه أشَدُّ الفَرَحِ واللهُ جَلَّ وعَلا يَفْرَحُ بَلْ هُوَ أشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ العَبْدِ مِنْ هَذا.

فَهَذا العَبدُ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنْ شَأنِهِ أنْ يُفْرِحَهُ وَكَذَلِكَ التَّوبَةُ مِنْ شَأنِها أنْ تُفْرِحَ العَبدَ فَصَارَ الفَرَحُ عِنْدَهُم يُطْلَقُ عَلى مَا مِنْ شَأنِهِ أنْ يُفْرِحَ اللي هي تَوبةُ العَبدِ.

والأشَاعِرَةُ يُؤَوِّلُونَ ويَقُولونَ الفَرَحُ لَيْسَ المُرادُ مِنْهُ الحَقِيقَةَ لأنَّ الفَرَحَ إذا أُثْبِتَ عَلى حَقِيقَتِهِ فإنَّهُ يَقْتَضِي التَّغْيُّرَ.

ويُفَسِّرُونَهُ بأنَّ الفَرَحَ هُوَ الرِّضَا وَالرِّضَا عِنْدَهُمْ يُفَسَّرُ بإرادَةِ الإحْسَانِ.

فَرَجَعَ الأمْرُ إلى أنَّ الفَرحَ يَرجِعُ عِنْدَهُم إلى الإرادَةِ لأنَّهُم يُرجِعُونَ الصِّفَاتِ إلى الصِّفَاتِ العَقْلِيَّةِ السَّبْعِ التي أثْبَتُوهَا.

فإذَنْ يَجْعَلونَ هَذا تَأويلاً – كَمَا ذَكَرَ الرَّازِيُّ في أسَاسِ التَّقدِيسِ وغَيْرِه – فَيُؤَوِّلُونَ الفَرَحَ بأنَّهُ إرادَةُ الإحْسَانِ، الفَرَحُ عِنْدَهُم هو الرِّضَا والرِّضَا إرَادَةُ الإحْسَانِ فرَجَعَ الفَرَحُ إلى أنَّه إرادَةٌ.

ولا شَكَّ أنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ بَاطِلٌ كَمَا أنَّ التَّفْسِيرَ الأوَّلَ للمُعتَزِلَةِ أو التَّحْرِيفَ

الأوَّلَ بَاطِلٌ لأنَّ في كُلٍّ مِنْهُمَا نَفْيٌ للصِّفَةِ.

فأمَّا أنْ تُجْعَلَ الصِّفَةُ مَخْلوقَـًا مُنْفَصِلًا فَهذَا لا شَكَّ بأنَّهُ مُضَادٌ لِظاهِرِ الدَّلِيلِ لأنَّ اللهَ جَلَّ وعَلا (أَشَدُّ فَرَحًا) فظاهرٌ مِنَ اللَّفظِ أنَّه لا يَدْخُلُ فيه المَخْلوقُ المُنْفَصِلُ)[1].

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ٤١١).